مختارات من شعر العقاد

العقاد

تصميم الغلاف والإخراج الفنى
محـمد بغـدادى

رقـم الإيـــداع : ٩٧/٢٢٠٣
الترقيم الدولى : 977-235-757-7

طبع بالمركز المصرى العربى ٥٨١٥٦٠٧

مختارات من شعر
العقاد

اختيار وتقديم

فاروق شوشة

الطبعة الأولى
....
١٩٩٦

شعر العقاد

حوار الصخر والنهر

بقلم : فاروق شوشة

شعر العقاد

حوار الصخر والنهر

بقلم : فاروق شوشة

بيننا - نحن قراء الشعر المعاصرين - وشعر العقاد مسافة واسعة. زاد من اتساع هذه المسافة العقادُ نفسه، بحرصه علي أن يكون وجهُ الكاتب فيه هو أهم وجوهه وأخطر تجلياته الإبداعية. كانت فكرة الكاتب، وتأثيره اليومي الفاعل في صياغة الأحداث وصنع التاريخ هي الشغل الشاغل للعقاد. وللبرهنة علي عظم هذه الفكرة وخطورتها دخل العقاد السجن، وواجه الأنظمة والحكومات، وتحمل صنوفا من العداء والقطيعة، لكنه ظل علي ولائه لمعني الكاتب الذي تتمثل فيه دوما معادلة الإرادة الانسانية والحرية. وطغي وجه العقاد الكاتب من خلال كتبه في السير والتراجم والعبقريات والتاريخ والفلسفة والعلوم والنقد الأدبي علي وجه الشاعر فيه، بالرغم من أن حجم إنجازه الشعري - المتمثل في أحد عشر ديوانا - يفوق حجم الإنجاز الشعري لأي شاعر عربي كبير من شعراء العصر الحديث، من غير أن ندخل في مقارنة تستهدف النوعية وحجم التأثير.

وزاد من اتساع هذه المسافة أن شعر العقاد وصل إلينا ـ نحن قراءه المعاصرين ـ في خضم موجات شعرية متتابعة، شديدة التلاحق والتأثير والقدرة علي تغيير الذائقة الشعرية بدءا بالكلاسيكية الجديدة التي أسس لها البارودي ونفخ فيها شوقي من روح شاعريته الفذة ووسع من آفاقها وقدراتها علي التحديث، بحيث أصبح نموذج شوقي هو النموذج الذي يستقطب جوهر شاعرية البارودي وإسماعيل صبري وحافظ إبراهيم وأضرابهم، وأصفي ما لديهم من خبرة شعرية وقدرة علي احتواء العصر شعريا.

في ظل سيطرة هذا النموذج الشوقي، لم يتح للذائقة الشعرية أن تتسع لشعر العقاد، أو أن تضعه في سياقه الصحيح من حركة التحديث الشعري. فقبل أن يتخلخل نموذج شوقي، كان شعر المهجريين المنهمر من الأمريكتين وممن تابعوهم من شعراء المشرق والمغرب العربيين، ثم كان شعر شعراء أبوللو ومغامراتهم الإبداعية من أجل تجلية النموذج الرومانسي للقصيدة العربية، وبعده نموذج قصيدة الشعر الجديد والعاصفة التي أثارها علي الحركة الشعرية العربية من حيث الحساسية والموقف والرؤية الشعرية، كان كل ذلك يباعد بين قراء الشعر وشعر العقاد، وكانت المسافة تتزايد باستمرار كلما أشرق فجر شعري جديد.

وزاد من اتساع هذه المسافة أخيرا، وربما أولا، أن شعر العقاد نفسه لم يكن كغيره من شعر معاصريه أو متابعيه، كان نموذجا يتحدي لدي متلقيه قدراته كاملة، وفي مقدمتها عقله ووعيه وفكره، وقدرته علي

التأمل والتجريد، ولم يكن هذا النموذج مسرفا في العاطفية كشعر الرومانسيين، ولا مسرفا في الجلبة والجهارة والعناية بالفخامة كنموذج شوقي وأضرابه، وليس هو شعر الحواس الظاهرة والقشرة الخارجية بقدر ما هو شعر المشاعر والعواطف العميقة، كان شعر اليقظة والوعي لا شعر الغيبوبة والحلم. وكان العقاد في هذا الشعر - كما وصفه مريده وتلميذه سيد قطب في كتاباته النقدية المبكرة عنه - شاعرا يعيش في وضح النهار. والوضوح الساطع صفة يمكن أن يباهي بها الكاتب، لكنها ليست مما يسعد به الشاعر الحقيقي.

يقول سيد قطب عن العقاد الشاعر في أحد فصول كتابه «كتب وشخصيات» وهو يتناول بالنقد والتحليل ديوان العقاد : «أعاصير مغرب» :

«في وضح النهار يعيش العقاد، صاحي الحس، واعي الذهن، حيّ الطبع، لا يهوّم إلا نادرا، ولا يتوه فيما وراء الوعي أبدا.

ومعالم الإحساس والتصور عند العقاد واضحة، وعلي رحابتها وانفساحها وعلي عمقها ودقتها يحدها إطار من الوعي المتيقظ، فلا تهيم في وديان مسحورة، ولا تنطلق في متاهات مجهولة.

علي أن للمجهول حسابه في نفس العقاد. ولكن هذا المجهول نفسه فكرة يحيط بها الوعي، ويدعو إلي فرضها العقل، وليس الإيمان بهذا المجهول توهانا روحيا ولا صوفية غامضة، إنما هو رحابة نفسية وفكرية.

ومن هذه الينابيع يتفجر شعر العقاد. فيكثر فيه تصوير الحالات النفسية وتسجيل الخواطر الفكرية، وإثبات التأملات المنطقية - إذا صح هذا التعبير - بقدر ما تقل فيه السبحات الهائمة والانطلاقات التائهة والظلال الشائعة، فكل شيء واضح وكل شيء له حدود ».

ثم يقول سيد قطب : «ويعوض شعر العقاد الجيد عن الرفرفة الطليقة تلك الحيوية المتدفقة، وعن الإيقاع المتموج تلك الحبكة الرصينة، وعن الانطلاق الهائم ذلك العمق الدقيق، وعن سبحات الصوفية التائهة صدق الحالات النفسية الواضحة.

ويبلغ العقاد قمته حين تبلغ الحيوية تدفقها فتجرف المنطق الواعي وتغطي عليه. فأما حين يضعف هذا التدفق، فيتجرد الشعر من اللحم والدم ويخيل إليك أن مكانه ليس هنا في الديوان، ولكنه هناك في كُتبه بين التأملات الفكرية والقضايا المنطقية».

بل إن العقاد نفسه في تقديمه لديوانه «بعد الأعاصير» يهاجم قول القائلين : إن الشعر وجدان، وقد كان عبد الرحمن شكري - زميله في جماعة الديوان - هو الذي وضع هذا البيت علي غلاف الجزء الأول من ديوانه :

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدانُ

ومدخله لهذا الهجوم أن القائلين به يرون أن الشاعر لا يتأمل ولا يفكر، وإلا قيل في شعره إنه كلام لا يوحيه الوجدان. لكنه يلقي بسؤاله المباغت : أيّ وجدان؟ ويقول : إنهم لا يسألون هذا السؤال وهو ألزم

سؤال، فالإنسان الهمجي له - في رأيه - وجدان وله شعور. ولكنه وجدان كوجدان الحيوان، وشعوره لا يرتقي إلي طبقة التعبير الجميل أو غير الجميل.

والإنسان الصوفي له وجدان وشعور، ولكنه إذا عبر عن وجدانه وشعوره دق تعبيره علي عقول الكثيرين أو الأكثرين. وهو يفرق في تحديد قاطع بين الإحساس والترقق، وينبه إلي سخافة شائعة في مصر والشرق بين أدعياء الإحساس - ممن لا يحسون ولا يفكرون - وهي اعتقادهم بأن الإحساس والترقق مترادفان، ويوشك أن يموت الإنسان عندهم من فرط الإحساس، لأنه يحس في زعمهم بمقدار ما يتراخي ويتخاذل ويئن وينوح.

ويخلص العقاد من كل هذا الجدل التحديدات المنطقية حول مفهومه للوجدان إلي أن الفن والأدب وجدان ولكنه وجدان إنسان، ولن يكمل الإنسان بغير ارتفاع في طبقة الحس وارتفاع في طبقة التفكير، والتمام في مزاياه الإنسانية أن يتم له الحس ويتم له التفكير.

من هنا فقد استقر في روع قراء العقاد، أن شعره شعر الفكرة لا شعر التجربة - بالمعني الرومانسي -، شعر الخاطرة التي تصل بالجزئي إلي الكلي، وتعبر المسافة بين المحدود واللامحدود، وتقبع في المسافة بين العَرَض الظاهر والجوهر الخبيء وتلعب علي الجدل بين المتناقضات - مجال الولع الشديد عند العقاد - بمنطقه وقدرته علي الجدل والمحاجّة.

ولن نجد تصورا يقربنا من النموذج العقادي في الشعر، كالذي نجده في حديث العقاد نفسه عما يسميه «الموضوعات الشعرية» في تقديمه لديوانه: «عابر سبيل» وهو الديوان الذي يستحق منا ـ نحن قراء شعر العقاد المعاصرين ـ كل الاهتمام والحفاوة لأنه يضم بين دفتيه جوهر شعر العقاد وخصوصيته المتميزة في الإبداع الشعري. فهو الديوان الذي يكشف لنا عن وعي العقاد بما هو شعري، وعن تجاوزه لما يسمي بالمعجم الشعري بالمعني الذي أكثر الرومانسيون الغربيون ونقادهم من الحديث عنه في كتاباتهم، وهي كتابات تتبني جميعها فكرة أن الشعر تعبير عن المشاعر.

فالعقاد يري أن إحساسنا بشيء من الأشياء هو الذي يخلق فيه اللذة ويبث فيه الروح ويجعله معني شعريا تهتز له النفس أو معني زريّا تصرف عنه الأنظار وتعرض عنه الأسماع، وكل شيء فيه شعر إذا كانت فينا حياة أو كان فينا نحوه شعور.

ويري أن كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبث فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر، لأنه حياة وموضوع للحياة.

ويفجر العقاد ثورته الشعرية الكبري في ديوانه «عابر سبيل» عندما يقرر أن «عابر سبيل» يري شعرا في كل مكان إذا أراد: يراه في البيت الذي يسكنه وفي الطريق الذي يعبره كل يوم، وفي الدكاكين المعروضة، وفي السيارة التي تحسب من أدوات المعيشة اليومية ولا تحسب من

دواعي الفن والتخيل لأنها كلها تمتزج بالحياة الإنسانية، وكل ما يمتزج بالحياة الإنسانية فهو ممتزج بالشعور صالح للتعبير، واجد عند التعبير عنه صدي مجيبا في خواطر الناس.

وفي رأي العقاد أننا ـ نحن أبناء العصر الحاضر ـ في حاجة إلي هذا التوجيه لإنقاذ النفس الإنسانية، لا لإنقاذ الملكة الفنية وحدها، فإننا إذا تعّودنا العناية بالأشياء وجدنا فيها ما يستحق العناية وينفض عن النفس تلك التفاهة التي غلبت علي الحياة وعلي الشعر والفن في هذه الأيام الحديثة.

أكان العقاد ـ في نبوءته هذه ـ علي وعي بما سيئول إليه حالنا، بعد رحيله عن عالمنا باثنين وثلاثين عاما ؟

لقد حقق العقاد في ديوانه «عابر سبيل» ما سبق أن دعا إليه وردزورث في رفضه للمعجم الشعري الذي كان سائدا في زمانه، والذي يفرق بين لغة الشعر ولغة النثر. وتبني العقاد لغة شعرية هي لغة الناس البسطاء، التي نجدها أوضح ما تكون في قصيدته «أصداء الشارع» التي يقول فيها :

بنو جرجا ينادون علي تفاح أمريكا
وإسرائيل لا يألوك تعريبا وتتريكا
وبتراكي إلي الجود علي الإسلام يدعوكا
وفي كفيه أوراق بكسب المال تغريكا
وأقزام من اليابان بالفصحي تحييكا

وإن لا تكن الفـصـحي فـبـالإيماء تغنيـكا
قـريب كلهـا الدنيـا كـرجع الصـوت من فـيكا
دعــا الداعـي فلبّـوه طغــاة وصـعــاليـكا
إذا ناديت يا دينار مـن ذا لا يلبـــيكا
فمـا في الناس هذاك ولا في الأرض هاتيكا

وهي لغة شعرية تذكرنا بالصدمة التي أحسـها بعض الناس عند قراءة النماذج الشعرية الأولي في حركة الشعر الجديد، ولجوء بعض رواد هذه الحركة الشعرية إلي لغة بسيطة عارية من الزخرفة والبلاغـة، لغة تتسم بالواقعيـة الشديدة والبعد عن تهاويل الرومانسية وجلجلة الكلاسيكيـة وصـخبـهـا.. وهي اللغـة التي تمثلهـا صلاح عـبـد الصبـور في قـصيـدته «الحزن» إحدى قصائد ديوانه الأول «الناس فى بلادي» وهو يقول :

يا صــاحـبي إني حــزين
طلع الصباح، فما ابتسمت، ولم ينر وجهي الصباح
وخـــرجت من جــوف المدينة أطلب الرزق المتــاح
فـشربْتُ شايا في الطريق
ورتـــقـــت نـــعـــلـــي
ولعـــبت بالنّردِ الموزع بين كـــفي والصـــديق
قل ســاعــةً أو ســاعــتين
قل عــشــرة أو عــشــرتين

وبهذا المعني، يكون العقاد سابقا لرواد الشعر الجديد ـ في تبني هذه اللغة الشعرية ـ بأكثر من عشرين عاما ـ فقد ظهر ديوان عابر سبيل في طبعته الأولي عام ١٩٣٧ ـ ولا يتركنا العقاد حتي يعود إلي تأكيد فكرته التي تمثل جوهر ثورته الشعرية وبلورتها علي هذه الصورة الشديدة التركيز وهو يقول في الصفحة الأخيرة من ديوان «عابر سبيل»:

«الفكرة في ديوان عابر سبيل هي أن مشاهد الحياة وعظات الأيام علي متناول اليد من كل إنسان إذا شاء أن يدير إليها عينيه، وأنه يستطيع أن يخلع الحياة الإنسانية علي ما حوله فإذا هو في جيش لجب من الخواطر والبدوات والخوالج والأحاسيس : عالم محشود في البيت وفي الدكان وفي الطريق وفي حيثما كان عابر سبيل».

والغريب أن هذه اللغة التي اصطنعها العقاد في «عابر سبيل» وفي غيره من دواوينه الشعرية من بعده، لم تنجح في تحريض الناس علي مقاربة شعره، أو التعامل معه، وظلت الفكرة الشائعة عن شعر العقاد والتي تدور في فلك الصعوبة والوعورة والحوشية والتعقيد هي المسيطرة، وظل الذوق الأدبي العام ينظر إلي شعر العقاد باعتباره امتدادا لدراساته في كتبه، وجها من وجوه تجلياته الفكرية، ونزعاته التأملية وولعه بالمنطق والجدل. وكان العقاد نفسه يحرض علي مثل هذا الفهم الخاطيء حين يقول في مقدمة ديوانه «بعد الأعاصير» :

«والحقيقة التي ينبغي أن نحفرها في أخلادنا هي أن الأدب الرفيع لم يخل قط من عنصر التفكير، وأن الشاهد علي ذلك أدب التحول بين

شعراء الأمم العالميين ومنهم أمثال شكسبير وجيتي والخيام وأبو الطيب.

ونخص الشعراء بالذكر لأن صدق هذه الملاحظة عليهم يجعلها أقمن بالصدق علي الأدباء الناثرين.

فأغاني شكسبير مثلا سلسلة من الأفكار التي يمتزج فيها الفهم بالشعور، ودع عنك قصائده التي نظمها في الروايات أو أجراها علي ألسنة الرجال والنساء، فإن شعر «الأغاني» أحق شعر أن يقصر علي «الوجدان» إذا صح ما يفهمه بعضهم من الأغراض الوجدانية وخلوها من التفكير.

وقصة فاوست الكبري - وهي أعظم أعمال جيتي - هي فلسفة الحياة والبقاء، وفلسفة الخير والشر، وفلسفة المعرفة والضمير، وليس فهمها بأيسر من فهم قضايا المنطق ومعادلات الرياضة والكيمياء.

ورباعيات الخيام يصحّ أن تسمي «فكر الخيام» لأن الرباعية منها تدور علي فكرة أو خلاصة أفكار، ولا يمنعها الشعور أن تكون شعور إنسان من المفكرين.

والحكم علي المتنبي ميسر لمن يقرأ العربية وحدها ولا يقرأ غيرها من اللغات، وليس في قصائده قصيدة واحدة يقول القائل إنه أهمل الفكر فيها، وإنها وجدان بغير تفكير.

فمن أمثلة ذلك القضية التي صاغها في بيت من الشعر حيث يقول :

وإذا لم يكن من الموت بــد　　　فمن العجز أن تكون جبانا

أو القضية التي صاغها في هذا البيت :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كاملُ

أو هذه التقسيمات الوافية التي يقول فيها :

تصفو الحياة لجاهل أو غافلٍ عما مضى منها وما يتوقعُ

ولمن يغالط فى الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمعُ

ثم يقول العقاد معقبا علي البيتين الأخيرين من شعر المتنبى :

فإن التفكير إذا ذهب في هذا المعني إلي غايته لم يأت فيه بمزيد بعد الجهل والغفلة والمغالطة في الحقائق، ولم يأت بشرح للغفلة أتم من الغفلة عن الماضي والمتوقع، ولا بشرح لمغالطة النفس في الحقائق أتم من تمادي المغالطة إلي الطمع في المحال».

العقاد إذن تشغله القضية أو القضايا في الشعر، وكيف تصاغ القضية في بيت واحد من الشعر، وهي التي تشغل منه - كاتبا - العديد من الصفحات لو أراد. كما تشغله التقسيمات الوافية التي تشير إلي منطق صارم وقدرة علي الجدل، وهي التقسيمات التي جعلت بعض خصوم العقاد - الكاتب - يقولون عنه إنه كاتب يلعب بالبيضة والحجر، وإنه يستطيع أن يقول اليوم ما يهدمه غدا، وهو في الحالين قادر علي استخدام الحجة والمنطق. والعقاد حسن الظن بقراء شعره، شديد التقدير لوعيهم وقدرتهم، فهم ليسوا من العامة المسفين في الذوق والفهم - بالغةً ما بلغت الجرأة والادعاء ببعض الزاعمين - لأن العامة المسفّين لا يقرأون ما يصعب فهمُه - أي شعره - علي الذين يدّعون الخبرة بالنقد والبصر والكلام، وهو المأخذ الذي يردده «الخبراء الألباء» كلما عرضوا لشعر صاحب الديوان.

والعقاد إذن علي بينة بمن يهاجمون شعره ويتقولون عليه بغير حقيقته، مدرك للمأخذ الذي يأخذه عليه من يسميهم - من باب السخرية والتهكم - بالخبراء الألباء، وهو صعوبة الفهم وعسر التناول وبعد الغاية. لكن هذا الاعتراف أو شبهته من العقاد لا تجعلنا نمضي مع هؤلاء الألباء إلي حد نفي الشاعرية كلية عن العقاد كما حاول بعضهم، ولا إلي تبني الموقف النقيض عند الآخرين الذين نادوا بالعقاد أميرا للشعر والشعراء بعد رحيل شوقي. فكلا الموقفين يبعدنا عن حقيقة العقاد الشعرية.

هل معني هذا أننا لن نجد شعرا للعقاد كالذي اعتدناه من شعراء العاطفة والخيال والتدفق الشعري؟ وهل خلا شعره من حديث الحب ومجالي الطبيعة وصبوات القلب وجموح الريشة المصورة، وهو الشعر الذي تهزنا وفرته عند شعراء أبوللو : إبراهيم ناجي ومحمود حسن اسماعيل وعلي محمود طه وأبي القاسم الشابي، كما نجده غزيرا في شعر المهجريين من أمثال إيليا أبي ماضي وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة - أقربهم إلي روح العقاد الشعرية؟

الإجابة أن الأمر علي عكس ذلك تماما!

فمساحة كبيرة من شعر العقاد تكاد تجعل منه شاعرا رومانسيا، يشبه شعره المهجريين، ويحلق معهم في آفاقهم ويسبقهم في الريادة والاكتشاف. لكن الحب عنده يظل مختلفا، في المعني والدلالة :

غريرة تسأل ما الحب؟
بُنيّتي : هذا هو الحب :

الحب أن أبصر ما لا يري ... أو أغمض العين فلا أبصرا
وأن أسيغ الحق ما سرنى ... فإن أبى، فالكذب المفترى
الحب أن أسأل ما بالهم ... لم يعشقوا المنظر والمخبرا
ويسأل الخالون : ما باله ... هام بها بَهْراً وما فكرا

وقوله :

بُنَيّتي ، هذا هو الحبُ
فهمته ؟ كلا ولا عتْبُ
مسألة أسهلها صعبُ
لا الناس تدر بها ولا الكتبُ
حسبك منها لو شَفَتْ حسْبُ
إشارة دق لها القلبُ

وهي قصيدة نطالعها كاملة ضمن هذه المختارات.

وشعر العقاد هو وحده - من بين كل آثاره القلمية - الذي يكشف لنا عن ضعفه الإنساني، ويجعلنا ننسي صورة «السوبرمان» أو «الرجل الخارق» التي نخرج بها من سائر كتاباته، صورة تتشكل من عناصر العناد والإصرار والكبرياء والتحدي والشعور بالزهو والتفوق والاستعلاء علي الآخرين. أما العقاد في شعره فهو كائن شديد الهشاشة لفرط حساسيته واتقاد مشاعره ورهافة وجدانه، تنوشه الظنون ويقلق كما يقلق الناس ويبكي بكاء الطفل الذليل ويغص بالماء الذي أعده للري، ويتقلب

في نيران الجحيم ويتمني لو باع حظه كله بساعة واحدة ينسي بها عمره فكأنه لم يولد :

يوم الظنون صدعتُ فيك تجلدي
وحملت فيك الضيم مغلول اليدِ
وبكيت كالطفل الذليل، أنا الذي
مالان في صعب الحوادث مقودي
وغصصت بالماء الذي أعددته
للريّ، في قفر الحياة المجهدِ

وهناك من يري أن هذه القصيدة، يوم الظنون» هي من بدائع العقاد الشعرية، وشاهد علي حقيقة شاعريته، بل إنها عروس قصائده علي الإطلاق. وهو افتنان بشعر العقاد ليس بالمستغرب علي تلامذته ومريديه والراغبين في إنصافه شعريا، وقد يبالغ بعض هؤلاء فيفردون لقصيدة العقاد في رثاء «مي» موقعا يتقدم قصيدته «يوم الظنون»، ومنهم من يري أن قصيدته عن «الكروان» التي ضمها ديوان «هدية الكروان» هي الأولى بالتقديم والإشادة.

وفي هذه المختارات من دواوين العقاد، نطالع بكائيتين للعقاد تمثلان أصدق شعره عاطفة وحرارة في مجال بكاء الأحباء ووداعهم. إحداهما في وداع «مي» التي شغفت عددا من كبار أدباء ومبدعي زمانها حبا وولهًا، واستطاعت أن تقنع كلا منهم بأنه ـ وحده ـ المقرب الأثير، وكان العقاد في مقدمة هؤلاء. والثانية في وداع «بيجو» كلب العقاد الأثير،

اللصيق بوجدانه وقلبه. ومن الإنسان إلي الحيوان يرقي العقاد في إبداعه الشعري، وفي تعبيره عن مشاعر اللوعة والفقد، إلي ذروة بعيدة سامقة، لا نألفها كثيرا في شعرنا العربي. والبكاء عند العقاد ممتزج كعادته بالفكر والتأمل، والارتفاع عن الموقف المحدود إلي المعني الكلي والرؤية الفسيحة الشاملة. ها هو ذا العقاد وجها لوجه مع الموت، يواجهه ويستصرخه ويثور عليه، ويحقد علي التراب الذي يضم وديعتين غاليتين، وروحين نادرتي المثال :

كل هذا فى التراب .. آه من هذا التراب !

ولا يفوته أن يسترجع مخزونه الثقافي والنفسي عن الحيوان عامة والكلب خاصة، ويستحضر ـ بشاعريته ـ قطمير، الكلب الذي صحب أهل الكهف وارتبط اسمه بهم، وكل الكلاب في رأي العقاد ـ والذين هم علي شاكلة بيجو محبة ووفاء وذكاء ورهافة شعور ـ هم آل قطمير، المذكرون به وبأسطورته في النبل والوفاء :

يا آل قطمير هواكم عجيب

إن ثمة خزانا للدمع يمتليء به وجدان العقاد، وينهمر في بكائياته شاعرية دامعة، ومشاركة أسيانة، وضعفا إنسانيا مرتطما بالقدر، ومتصلبا في مواجهته وتحديه.. وهي الثنائية التي مثلها العقاد دوما باعتباره تجسيدا لحوار الصخر والنهر في مهاد نشأته الأولى : أسوان، حيث يشمخ الجرانيت والصوان في عناق النهر المتدفق، المتليء بالجنادل والصخور. هذه الثنائية التي نطالعها في تجليات شعره : انسيابَ رقةٍ

ووعورةَ خشونة، نزقَ طفولة وحكمةَ كهولة، اندفاع عاطفة وروية عقل وفكر، رضًا يتسع فيحتوي العالم وغضبا يشتعل معلنا عن رغبة في تدمير الكون - هي التي أودعت شعره هذه الفصول المختلفة من الطقس النفسي والفني، وأغنت رحلته مع الشعر بحصاد من التجارب المتميزة، والأصداء النادرة والمعالم الفريدة.

أليس هو القائل في تقديم شعره لقارئه مؤكدا هذه الثنائية :

هذا كتابى في يد القراءِ
ينزل فى بحر بلا انتهاءِ
فيه من الحكمة والغباءِ
وفيه من يأس ومن رجاءِ
وفيه من حب ومن بغضاءِ
وفيه من صمت ومن ضوضاءِ
صورة مَحْياىَ لعين الرائى
فليلْقَ بين القدح والثناءِ
ما شاءت الدنيا من الجزاءِ

وشيئا فشيئا سينحسر عنا وجه العقاد : الكاتب الموسوعي، لأن عصر التخصص وثورة المعلوماتية والانفجار المعرفي يتجاوز العقاد - فيما تناوله في كتاباته - بكثير. فلم تعد آراؤه في النبات أو الحيوان أو الفلك أو الطبيعة أو التاريخ - مثلا - صالحة للاستمرار أو مخاطبة الحاضر والمستقبل. ولم تعد وفرة اهتمامه - بالكتابة في كل شيء - تَشُدُّ

القاريء المعاصر الذي يسعي إلي التخصص الضيق والتناول العميق.. ولن يبقي من العقاد إلا شعره، خطابا إبداعيا يتجه إلي قاريء كائن وقاريء لم يوجد بعد. وستبقي في هذا الشعر صورة العقاد الحقيقية ـ إذا أخذنا بنظرية المرايا واعتبرنا الشعر مرآة للشاعر أو صورة لبيئته وعصره وزمانه، وجهده الإبداعي المستمر من أجل البرهنة علي مفاهيم جديدة للشعر دعا لها منذ صيحته الأولي في كتاب الديوان الذي أصدره بالاشتراك مع زميله في رحلة الحياة والفكر : إبراهيم عبدالقادر المازني، فى عام ١٩٢١، ثم عاد إلي تأكيدها وبلورتها في كتابه «شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضى» عام ١٩٣٧، ولم يفته أن يشير إليها في مقدمات دواوينه الشعرية، بل وفي تقديمه للجزء الثاني من ديوان عبدالرحمن شكري. وقد يري البعض أن المسافة شاسعة بين ما نادي به العقاد من فكر وتنظير وما أنجزه من إبداع شعري وأنه في كثير من جوانب هذا الإبداع لم ينجح في التحرر من أسر النموذج الشوقي فجاءت بعض قصائده علي غرار قصائد شوقي من حيث التناول والصيغة وإن لم تَرْقَ إلي أفقه الكلاسيكي فخامة وروعة بناء.

نعم، سيبقى العقاد الشاعر أضعاف بقاء العقاد الكاتب. وسيبقى إبداعه الشعري المتميز، يجتذب مريديه وعاشقي فنه، ونموذجه الشعري، وجمهرة أخري يتملكها الفضول، فتقترب من تخوم هذا العالم الثري المتميز تحاول أن تكون من وارديه.

وهذه المختارات ـ من دواوين العقاد ـ محاولة لفتح الباب أمام قراء هذا الجيل ليعرفوا العقاد الشاعر علي حقيقته، وليقتربوا من نماذجه الجميلة وإبداعه الباقي، وليصافحوا فيه لغة غير تلك التي عرفوها عنه في دراساته وترجماته وعبقرياته، ندّية بماء الشعر، مشتعلة بصهد الحياة ووقدها اللافح، مبتلة ـ في أحايين كثيرة ـ بانهمار الدموع.

لقد كان العقاد يري ـ كما سجل في تقديمه لديوانه الأول ـ أن الشعر يعمق الحياة، فيجعل الساعة من العمر ساعات : «عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التي يعرض عنها سواك ممتزجة طويتك بطويته الكبيرة، تكن قد عشت ما في وسع الإنسان أن يعيش، وملأت حقيبتك من أجود صنف من الوقت ...».

فلنملأ ساعات العمر بمثل هذا الشعر العميق البديع، نغنم أعمارا من المتعة والبهجة، والنشوة الرفيعة، تضاف إلي الأجل المحدود.

فاروق شوشة

مختارات من شعر العقاد

العقاد

الإهداء

إيه يا من أوحت الشعر وخانت شاعرَهْ
لك أهديه لِوَحيك

* * *

إيه يا من ليس يُوحيه ويمسي ذاكرَهْ
لك أهديه لرغيك

* * *

هكذا أبرأ في الحالين من حَمْدِ خيانة
وأصونُ العهد ممن رام شعري بصيانة
وأداري حيْرتي خافيةً أو ظاهرة!

غزل ومناجاة

ارتجال المنى

منّني أطيب المنى يا حبيبي فالمنى وحدهن منك نصيبي
إن يَفتنا بنالها لم تفتنا نظرة من خيالها المرقوب[1]

* * *

منّني، بل دع المنى يا حبيبي فشقائي في الموعد المكذوب
هان فقد المنى التي لم تَعِدنا وافتقاد الموعودِ جدٌّ صعيبِ

* * *

أعطني! أعطني إذن يا حبيبي غيرَ ما ناكث ولا مستجيبِ[2]
أعطني صفوك ارتجالا ودعنا من مطالٍ بالوعد أو تقريب[3]
فارتجال المنى أحبُ لنفس شبعت من رويّة التجريب[4]

(١) المرقوب : المأمول والمنتظر.
(٢) النـاكث : من يخلف وعده.
(٣) المطـال : التسويف والتأجيل.
(٤) الرويـة : الحكمة والنضج والخبرة.

أغنيات

هذه الأغانى نظمت لتنشدها المطربة «نادرة» في رواية من روايات الصور المتحركة حسب المواقف التي تعرض لأبطالها، وهذه الأغنية التالية تنشد في زورق يجري علي النيل عند القناطر الخيرية تحت أشجار الصفصاف التي تطل علي الشاطيء، وفي الزورق المحبان يتناجيان، والحبيبة تنشد :

في الهوى قلبي   زورقٌ يجري
أين يمضي بي   نهره الخمري
ليتني أدري

* * *

ليته يجري   يا أبا الأنهار
مثلما تسري   في حِمَى الأقدار
حولك الأزهار

* * *

حولك الصفصاف   مسبل الشعر
ناعس الأطياف   سابح الفكر
في الهوى السحري

* * *

يــا ريــاض الــنــيــل عــلّــمــي قــلــبــي
فــرحــة الـتـهـلـيـل عـــشـت لـلـحـب
يـا مـنـى الـصـب

* * *

قـــال لـي قـلـبـي والـهـــوى يـرعـــاه
هـو فـي قـــربـي مـــا الـذي أخـشـــاه
عـنـدمـا ألـقـاه

* * *

أمسية على النيل

وهذه الأغنية تنشد على شاطئ النيل بعد الغروب

يا حبيبي أنت ريٌ   ليس في الماء نظيره
يا حبيبي أنت ظل   ليس للروض عبيره

* * *

يا حبيبي أنت بدر   أين نور البدر منه؟
أين نور زانه الحـ   ـب ونور لم يزنه؟

* * *

أنت عندي كل شيء!   كل ما شئت يكون
قل لهـذا الليل يبقى   ومع الليل السكون

* * *

قل له فهو نجيٌّ   مرهف السمع إلينا
كيف يَعْصي لك أمرا   والهوى طوع يدينا

* * *

الزوجة المهجورة يوم ميلادها

وهذه الأغنية تنشدها الزوجة التي هجرها زوجها يوم ميلادها ولم يرض أن يلازمها في المنزل ليشاركها في الاحتفاء بهذا اليوم :

مــــولدي يوم شـــقـــائي		مـــات في المهـــد رجـــائي
لـيس فــي قـلبي عــــزاءُ		أين في الدنيـــا عـــزائي!
أحـــسب البـــدر ظلامـــا		وهو مـصــبـاح السـمـــاءِ
لاح في الأُفق وحـــيـــدا		ومـن الـوحــــــدة دائـي
كم أرانـي الـنور حـــزنـا		كـــان في طيّ الخـــفـــاءِ

إغـواء

وهذه الأغنية تنشدها بطلة الرواية على مسمع من صاحبها لتوحي إليه أنه هو المقصود بحبها وغنائها، وقد كان يجهل ذلك :

هـل درى مـن أحـــــبـــــه   أيـن فـي الحب مـطـمـــعـى؟
هـل مـــعـي الآن قـلبـــه   مـثلمـا سـمـعـه مـعـي؟!

***

هــل أراه بــنـــاظـــري   أم أرى الـطيـف بـالرجـــاء
ربمـــا بـــات زائـــري   وهو فـي البـعـد كـالسـمـاء

***

لـيـتـه يـكشف الضـمـيـر!   لـيــتـني بـالهــوى أبـوح!
فـاكـشف الروض يا عـبـيـر   إنَّ عـطـر الهـــوى يفـــوح

***

شـــرعـــة القلب شـــرعـــتـي   مـا احـتـيـاجي إلى شـفـيع
إن تـسـلـني فـــحـــجـــتـي   فـي يـدي ـ زهـرة الـربـيـع

في ساعة انتظار

يا ساعة الصفو غبت عني　　وحيَّرَتْ لوعتي خطاك
تائهة أنت في طريقي　　هداك نور الهوى هداك

* * *

أبطُأت يا ساعة التمني　　وموعد الملتقى قريب
هل يبطيء البين لوسعى لي　　كما سعى موعد الحبيب

* * *

أصبحت في لهفتي عليه　　أنتظر الليل بالنهار
طال انتظاري له فماذا　　في الغيب يا ليلُ بانتظاري

* * *

الصدار الذي نسجته

هنا مكان صدارك   هنا هنا في جوارك

* * *

هنا هنا عند قلبي   يكاد يلمس حبي
وفيه منك دليل   على المودة حسبي

* * *

ألم أنل منك فكرة   في كل شكة إبرة
وكل عقدة خيط   وكل جرة بكرة!

* * *

هنا مكان صدارك   هنا هنا في جوارك
والقلب فيه أسير   مطوّق بحصارك!

* * *

هذا الصدار رقيب   على الفؤاد قريب
سلنيه : هل مرَّ منه   إليَّ طيف غريب؟

* * *

نسجته بيديك   على هدى ناظريك
إذا احتواني فإني   ما زلت في إصبعيك

قولي مع السلامة

نعم مع السلامة والحب والكرامة

* * *

حديثك الممتع لي
من ثغرك المقبَّل
وأنت لي في منزلي
وشيكةٌ أن تخجلي
من قبلة حَرَّى إلى لغو إلى ابتسامة
ولا تقولي عندها لا. لا. مع السلامة
حتى إلى القيامة

* * *

أما إذا مِسَرَّتي
نادتك يا حبيبتي
فاستمعي تحيتي
ثم «اسألي عن ليلتي»

ثم اضـحكي وسلسلي
ضـحكتك النَّغـامـة

فــإن أطلتِ بعـــدها فــهــذه عـــلامـــة
قـــولي مع الســـلامـــة قـــولي مع الســـلامـــة

في النفس

هذا هو الحب!

غــريرةٌ تســأل : مــا الحب؟
بُنيـــتي ! هـذا هـو الحب!

الحب أن أُبصــر مــا لا يُري　　أو أغـمض العين فـلا أبصـرا
وأن أسـيغَ الحق مـا سـرَّني　　فـإنْ أبى، فـالكَذِبِ المفـترى

* * *

الحب أن أســأل : مــا بالهم　　لم يعـشـقوا المنظر والمخـبرا؟
ويســأل الخــالون مــا باله　　هام بهـا بهْـراً ومـا فكّرا؟[1]

* * *

الحـب أن أفـــرق من نملـة　　حيناً، وقد أصرعُ ليثَ الشّرى[2]
وأن أراني تارةً مــقــبـــلا　　وخطوتي تمشي بِيَ القــهـقـرى

* * *

(١) بهرا : انبهارا وإعجابا.
(٢) أفرق : أخاف وأفزع.

الحب كـالخمـر فـإن قـيـل لي سِكرتَ؟ هَمَّ القلبُ أن يُنْكِرا

وكلّ عـضـو بعـده قـائل نعم، ولا أحـفـل أن أسكرا

* * *

الحب أن يَفْرِقَ أعـمـارنا عـهدان، والعـهـد وثيق العُرَى

أخسبني الأكـبـر حتى إذا عانقتِنى ألفيتِنى الأصْغَرا[1]

* * *

الحب أن نصـعـد فوق الذرى والحب أن نهـبط تحت الثـرى

والحـب أن نـؤثـر لـذاتـنـا وأن نـرى آلامـنـا آثـرا

* * *

الحب أن أجـمع في لحظة جـهنم الحـمـراءَ والكوثرا[2]

وإنني أخطيءُ في لهـفـتي مَنْ منهـمـا رَوَّى ومَنْ سعَّرا[3]

* * *

الحب أن يمضي عـام ومـا همـمت أن انظم أو اشـعـرا

وربما علّقت في ســاعــةٍ حـواشي الدفـتـر والأسطرا

(١) ألفيتنى : وجدتنى.
(٢) الكوثر : نهر في الجنة.
(٣) سعّرا : أشعل اللهيب وأيقظ العطش.

بُـنـيَّــــــــتـي! هـذا هـو الحـبُ

فَــهِــمْــتِــه؟ كــلا. ولا عَــتْـبُ!

مـــســـألةٌ أســـهـلـهـــا صـــعـب

لا الناس تـدريـهـــــا ولا الـكـتـبُ

حــسـبك منهـا ، لو شَـفَتْ حـسبُ

إشـــــارةٌ دق لـهــــــا الـقـلـبَ

عدنا والتقينا

التقينا
والتقينا!
عــجــبــاً كــيـف صــحــونا ذات يوم فــالـتــقــينا
بعـــد مـــا فـــرّق قُطرانِ وجـــيـــشـــانِ يدينا[1]
فــتــصــافــحنا بجــســمــينا وعــدنا فــالتــقــينا
بعد عصر!
أي عصر؟
والنوى تجــري وســر الحب في الأكـــوان يجــري
ثم نادانا تعـــالـوا فـــاهبطوها أرض مـــصـــر
قــضي الأمــر كــمــا شــاء، وعــدنا فــالتــقــينا

***

كم بكيتِ
واشتكيتِ

(١) كان الشاعر قد ترك مصر إلي السودان عندما تقدم جيش روميل الألماني من حدود مصر ـ أثناء الحرب العالمية الثانية ـ وهذه القصيدة تنبض بمشاعره بعد العودة إلي الوطن.

ثم أُلهِمتِ على الغَيب فأصغينا وقلتِ
قلتِ في السابع والعاشر من شهر سيأتي
ها هنا سوف تراني، فرأينا والتقينا

* * *

يوم ذكرى
ذاك أحرى
بالتقاءٍ كلما دار به الحول وأسرى
في سماء تعبر الشعرى وتدني كل شعرى[1]
كيف يلقانا وحيدين غدٌ فيه التقينا

* * *

قبل عام
ثم عام
كان يوم، أيّ يوم، في صفاء وابتسام
يوم لاقى الحب لحظينا على عهد الدوام
فتعاهدنا وقلنا : كلما عاد التقينا

* * *

(١) الشِّعرى : كوكب مضيء يظهر عند شدة الحر.

وتدانى

وكلانا

زائغ الطرف يناجي قلبـاً ولسـاناً

ثم مـاذا ؟ ثم كن يا بُعْـد لي قـربا ، فكانا

واسـتعـان الحب بالداء حليـفـاً فـالتـقـينا

* * *

كم غرام

وسـقام

عـرفـا الحلف غلى غـيـر سـلام ووئام

فـإذا مـا اجـتـمـعـا فـانتـزعـاني من مـقـامي

فـبـحـسبي منهـمـا أنا شكونا فـالتـقـينا

* * *

يا فتاتي

يا حياتي

لا تـراعـي بـعـد هذا مـن فـراق أو فـوات

قَـدَرُ الله كـفـيـل لـك في مـاض وآت

كلمـا فـرّق شـمـلينا دعـانا فـالتـقـينا

* * *

جمال يتجدد

كلما قلتَ لي الربيع جميلٌ　　قلتُ : حقاً، وزاد عندي جمالا
عجباً لي، بل العجيبة عندي　　صور الكون كم يسعن كمالا
خلْتني قد وعيتهن عِياناً　　وتتبعت من وَعَوْها خيالا
شاعراً عاشقاً وقارىءَ كتْبٍ　　قرأ الكتب دارساً، فأطالا
فإذا نظرةٌ بلحظك تبدي　　صوراً ما طرقن عنديَ بالا
بِعِدادِ الانوار في أعين الحب　　نعد الأكوان والأجيالا

القُبلة

هي كـأس من كـؤس الخـالـدينْ   لم يَشُـبهـا المزج من مـاء وطين
كلمـا أفـرغـتَـهـا منتـشـيـاً   مُلئتْ من كـوثر الخلد المعين[1]
وإذا أمـــتـــعك الريّ بهـــا   بدأ الشـــوق إليـــهـــا والحنين
قـد شـربناها مـعـاً في ليلنا   فَـرَوِينا ، وافـتـرقنا ظامـئين!

(١) المعين : الظاهر الذى تطالعه العين وتراه.

حسرة متلفة

يـــا لـــه مـــن فـــمٍ   يا لهـــا من شـــفـــة !

يا لشَـــهـــد بهـــا   كـــدت أن أرشـــفـــه

يا لـزهز بهـــــا   كـــدت أن أقـطـفـــه

حلوةٌ ويحـــهـــا !   غـــضـــة مـــرهَفَـــة

حـــســـرتي بعـــدها   حـــســـرةٌ مـــتلفـــة

الجسم الضاحك

ثغرك الضاحك، لا بل وجهـــ ـك الضاحك، لا بل كل جسمكْ
لا بـل الـدنـيـــــا الـتـي تـو مض نـوراً حـــول نجـــمكْ
هكذا فلـيـــبـــسم البـــا سم إن شـــاء كـــبـــســمكْ
أو فَـــيَنسى البِـــشْـــرَ حـــتى ينقل البـــشْـــر، بلثـــمكْ
لا يلام الـعـــابس اليـــا ئـس إلا بـعـــــد لـومـكْ

بعد عام

كــــاد يمضي العــــام يا حلو التــــثني أو تــــــولّـــــى
مـــــا اقــــتــــربنا منك إلا بالتــــــمني لـــــيـــــس إلا

***

مــــذ عـــــرفناك عـــرفنا كل حـــسن وعــــــــــــذابِ
لهبٌ في القلب، فــــــردوس لعـــــيني في اقـــتـــــرابي

***

غـــــيـــــر أنا لا نرى الفـــــردوس إلا رســـــمَ راســـــمْ
وشــــربنا من جــحــيم الحب مُـــهــلا شـــــرب هائم

***

لا تـلـمـنـي أنَّ قـلـبـي خــــــانــنـي أو عــشــقــتُكْ
لـــم يـــكـــن مـــنّـــيَ إلا أنــــنـــي قــــــد رأيتكْ

***

كــان في الدنيــا جــمــال لا يُعَــد ثم لُحــتــا
فــعــددنا الحــسن طراً فــهــو فــردْ وهو أنتــا

* * *

أين حــسنِ كــان يجلوهُ النهــارُ هل لبستَهْ؟
هل ورثت الصــبح والصــبح مُنارُ أم قــتلتــهْ؟

* * *

تتــهــادى ويح قلبي في خطاك لـستَ تــدري
لــستَ تــدري أي نــار إذ أراك ضِــمْنَ صَــدري

* * *

ضــاحكاً يفْــتَــرّ نور البــشــر عنكا كــيف تعلْم
أن قلبــاً دون قِــيــدِ الرمحِ منكا قــد تحطمْ؟

* * *

زده داءً لا شــفى الله جــواه كم أســاء
من دعــاه للتــصــابي من دعــاه؟؟ زده داء !!

* * *

أو فحسب القلب ماطمٌ وأربى لا تبده
قد دعاه الله للحب قلبي لا تزده

***

نحن قوم يا حبيبي قد خلقنا للجمال
إن أجاد الله في الخلق أجدنا في المقالِ

***

صاغنا الله لشدو وغناء حيث كنا
ونهانا عن جمود وجفاء فانتهينا

***

قال غنّوا وصفوا خلقي البديعْ في القصيدِ
واطلبوا أجركموُ عند الربيع والخدودِ

***

ليس يُعْلي آيَ فنّي غيركمْ حين تعلو
شكرها منكم ومنها شكركم ذاك عدل

***

مـــالكم أجـــر من الدنيـــا ســـواه فـــاغنمـــوه
يـا ذوي الحـــــسن بـذا أوصى الإِلـهُ فـاسـمـعـوه

***

قـــد وَفَـــيْنَا دَيْنَنَا فـــاوفـــوا الديونا هل رضـيـتم؟
وشـــدَوْنا فـــتـــعـــالَوا أســـعـــدونا لا شـــقـــيـتم

***

مـــا أتمَّ الـعـــيشَ لو تـصـــفـــو القـــوافي والـغـــــرامُ
شـــاعـــر يشـــدو ومـــحـــبـــوب يوافي والســــــلامُ

***

طلاء نفس

زرقـــةُ عـــينيكِ لا صـــفــاءُ فـــيــهـــا ، ولكنه فـضـــاء!
حـــمــرةُ خــديكِ لا حـــيـــاء، فـيـــهـــا ، ولـكنه اشـتــهـــاء!
قـــوامك الرمحُ لا اعـــتـــدال فـــيـــه، ولكنه اعـــتـــدا ء![1]
يا حـــيـــرة القلب في هواه! يا غـــاية العـــمـــر في مناه
وجـهك ســبــحــان من جــلاه ولـوّث الـنـفس بـالـطـلاء![2]

* * *

حـــبك لا نـعـــمـــة أراها فـــيــــه، ولـكنه جـــزاء
من في الصّــبــا جــرتُ في هواها!
من تلك مـــقـــبــولة الدعـــاء؟[3]

أنت عـــقـــابي فـهل كــفــاها بَرْحُ شقائي أو لا اكتفاء!؟[4]
يا جنة حـــسنهـــا عـــقـــابُ يا خـــمـــرة عــذبهـــا عـــذابُ

مـــتى مـــتى ينطوي الكتـــابُ ؟
مـــــتـي فـــــراقٌ بـلا لـقــــــاء!

(١) القوام الرمح : الشبيه بالرمح في الاعتدال والاستقامة. (٣) جُرتُ : جاوزت الحدّ وخرجت على المألوف
(٢) جلاه : صوره وأظهره في أبدع صورة. (٤) برح الشقاء : شدته وقسوة تعذيبه.

عيش العصفور

حطّ على الغصن وانحدر ... أقلّ من لمحة البصر
مغرداً قط ما توانى ... مرفرفاً قط ما استقر
يلمس أيكاً بُعَيْد أيكٍ ... كأنما يلمس الإبر[١]
مطارداً لا إلى طريد ... مسابقاً لا إلى وطر
كخفة الطفل في صباه ... لكنها خفة العُمُر
وروده نغبةٌ فأخرى ... من خوّف الطائَر الصدَر؟[٢]
يقارب السُّحْبَ ثم يهوي ... يبشر الروض بالمطر
أصدق من سار في سرار ... بين الحيا العذب والشجر[٣]
ويستحث الرياح ضرباً ... بخافقيه فتبتدر
لله ما أهول المطايا ... وأضعف الراكب الأشِر[٤]
طار وليداً وطار شيخاً ... بين البساتين والغُدُر
لا أعين الماء ناضباتٌ ... ولا خلا الروض من ثمر
أخبرُ بالنضج مقلتاه ... ممن سقى الحب أو بذر
سله عن الجند والزمر ... سله عن المُلْكِ والسُّرُر[٥]

---

(١) الأيك : الشجر الكثيف الملتف.
(٢) نغبة : رشفة قليلة.
(٣) الحيا : المطر.
(٤) الأشر : المرح
(٥) الزمر : جمع زمرة أي الجماعة والمقصود الأعوان. السُّرر : جمع سرير أي العرش.

لم يأته عنهم بلاغ ولا دليل ولا خبر
هذا هو العيش فاغبطوه عليه يا أيها البشر

* * *

هذا هو العيش فارحموه عليه واستخبروا الغِيَر[1]
فإن سألتم فسائلوه عن صولة الصقر إن كسر[2]
وحيلة الدِّبْقِ في ثراه وغيلة الحية الذكر[3]
هناك ينزو له فؤاد لا يجهل الريب والحذر
لم يخف عن أعين الليالي ولا توارى من الصغر
حبائل الدهر قانصات من طار أو غاص أو خطر[4]
من عاش يوماً أو بعض يوم يعلم ما ضربة القدر
أليس هذي الحياة ذخراً وحارس الذخر في خطر؟؟

(١) الغير : صروف الدهر وأحداث الزمان.
(٢) إن صار كاسرا : أي منقضا على الفريسة.
(٣) الدِّبْق : الشَّرَك الذى ينصبه الصياد للفريسة.
(٤) خطر : مشي وهو يشعر بالتيه والكبرياء.

الوداع

معربة عن بيرنز (١)

قُــبلة بعــدها يطول الفــراق | وعناق، وليس بعـــدُ عناق
سوف أبكيك والمحاجر شكرى | بدمـــوع من الفــؤاد تراق(٢)
سوف أدعوك في الدجى بأنين | وزفير في الصدر منه احتراق
كيف يشكو من عثرة الجد ظلماً | مَن محياك نجمه الألاق(٣)
بيد أني درجت في ظلمة اليأ | س فحَولْي من الظلام نطاق
لست أَلْحى على الهيام فؤادي | قـدَرُ الحب دفعه لا يطاق(٤)
من رآها فكيف يسلو هواها | يعشق القلب إذ ترى الأحداق
آه لولا صـــبــابة وغـــرام | قد شربناه والكؤوس دهاق(٥)
ما غدونا ولي فؤاد كسير | وجبين سيــماؤه الإطراق
فسلاماً يا قرة العين والقلـ | ـب وأحلى من صورّ الخَلاق
حاطكِ الله بالسعادة والحب | ورواكِ مــــاؤه الرقـــراق
قُــبلةً بعــدها يطول التنائي | وعناق، أوَاهُ! ثم افــتـــراق

(١) القصيدة مترجمة عن الانجليزية.
(٢) شكرى : ممتلئة. تراق : تسكب وتنهمر.
(٣) عثرة الجد : خيبة الحظ وفشله. الألاق : المشرق المتألق.
(٤) ألحى : ألــوم.
(٥) دهاق : ممتلئة.

النـوم

أيا ملكاً عـرشـه فـي العـيـو ... ن يظلل دنيا الـكرى بالجناح[1]

ضـمـمت عليك جـفـوناً ترا ... ك أبرَّ بهـا مـن وجـوه الملاح

تُلم بـأهدابـهـا فـي الظـلا ... م فتنسى جبين الزمـان الوقاح

وتدني إلـينا بعـيـد الرجـا ... ء إذا الدهور مـاَطلَنا بـالسماح

أراك خـلـقـت لـنـا هـدنـة ... تعـاودنـا فـي مـجـال الكفـاح

إذا مـا رفـعنا سـلاح الجـلا ... د تُلمُ فنُلقي إلـيك الـسلاح

فـتـجـمع بين الظـبـاء الضـعـا ... ف وبين ليوث الشرى في وشاح[2]

ويجـفو الحـبيب فتـؤتي المشـو ... قَ من لذة الوصل مـا لا يتـاح

وتحـرس أجسـامنا في المهـا ... د وتخلي لأرواحـهـن السـراح

تحلق بالـروح بين النجـوم ... مـؤتلقـاتٍ وبين البطاح

وتبـعث طيف الزمـان القـد ... يم قد نام في لحده واستراح[3]

---

(١) الكرى: النوم. (٣) اللحد : القبر.

(٢) الظباء: الغزلان. ليوث الشرى: الشرى موضع اشتهر بكثرة الأسْد فيه والليوث: الأسْد.

وتســـبق بـالحـــالمين الزمـــا ... ن إلى زمن ســـره لا يبـــاح

كـــأن الرقـــاد أبٌ مـــشـــفقٌ ... يعـلـل طـفـــــلاً أطال الـنـواح

يلقِّـــيـــه تمثـــالِ زُهْر النجـــو ... م وكـان له في النجـوم اقـتـراح

أمـــانيَّ يحظي بهنَّ النيـــا ... م، وجِـدُ الحـيـاة شـبـيـه المزاح

ولو رام يـســعى إليـهـا امـرؤ ... تقـضّى به الدهور دون النجـاح

إذا كـان عـيش الـفـتى لا يدو ... م فـهـزل المنام كـجِـدّ الصـباحْ

زهريات

وردة محزنة

وردتي! فيم أنت ضاحكة ... يلمح البشرَ منك من لمحا[1]
فيم هذا الجمال يحزنني ... رونق فيه كان لي فرحا
كنت أهوى الورود أصلحها ... ما لذكرى الحبيب قد صلحا
هو في نيتي هديته ... وهو فوق الغصون ما برحا
وأخال القبولَ يرمقه ... وأضحاً فيه كلما وضحا
ثم ولى الهوى وأعقبني ... نظراً ينكر النهار ضحى[2]
فإذا الورد غصة وشجًا ... يتراءى بالهجر لي شبحاً[3]
وإذا الزهر كاليتيم إذا ... راق في العين حسنه جرحا
كان للحب زينة فغدا ... أثراً فوق لحده طُرحا
الذبول الذبول أرفق بي ... من رواء يزيدني ترحا[4]

(١) البشر : السرور.
(٢) أعقبني : أتبعني.
(٣) الشجا : ما يعترض الحلق من عظم ونحوه.
(٤) رواء : جمال وبهاء. ترحا : حزنا شديدا.

سيان

إن قيل بالحق أو البهتانِ
دعهم يقولون، وقل سيانِ![1]
سيانِ مهما افترق الضدان
سيان مهما اختلف الخَصْمانِ
سيان ألفٌ هي أو ألفْانِ
سيان بيدٌ هي أو مغان[2]
سيانِ نور أو ظلامٌ فانِ
سيان من يلهو ومن يعاني
قلْها ببرهان ولا برهانِ
وأنت أنْتَ أحكم الزمانِ
وإن تَصَدَّوْا لك بالنكران[3]
أو ضحكوا سُخْراً فقلْ سيانِ![4]

(١) سيان : مثنى سيّ : وهو المثْل والنظير. (٤) سُخرا : استهزاء وسخرية.
(٢) بيد : جمع بيداء أي صحراء. مغان : جمع مغنى: المكان الأهل بالحياة والناس.
(٣) تصدوا : تعرّضوا وقاوموا.

نفثة

ظمآنُ ظمآنُ لاصوب الغمام ولا عذب المدام ولا الأنداء تُرويني(١)
حيران حيران لانجم السماء ولا معالم الأرض في الغمَّاءِ تهديني(٢)
يقظان يقظان لاطيب الرقاد يُدا نيني، ولا سمر السُّمَّار يلهيني
غصَّان غصَّان لا الأوجاع تُبليني ولا الكوارث والأشجان تبكيني(٣)
شعري دموعي وما بالشعر من عوض عن الدموع نفاها جفنُ محزون
يا سوءَ ما أبقت الدنيا لمغتبطٍ على المدامع أجفانَ المساكين
هم أطلقوا الحزن فارتاحت جوانحهم وما استرحتُ بحزن فيَّ مدفون
أسْوان أسوان لاطب الأساة ولا سحر الرُّقاة من اللأواء يشفيني(٤)
سأمان سأمان لا صفو الحياة ولا عجائب القدر المكنون تعنيني(٥)
أصاحب الدهر لا قلب فيسعدني علي الزمان ولا خل فيأسوني
يديك فامحُ ضنىً يا موتُ في كبدي فَلَسْتَ تمحوه إلا حين تمحوني

---

(١) الأنداء: جمع ندى.
(٢) الغماء : الشدائد العظيمة.
(٣) غصان : ممتلىء الحلق بالماء.
(٤) الأسوان: الشديد الحزن والأسي. الأساة: الأطباء والمفرد: الآسي.
(٥) المكنون : المصون والمحفوظ.

أين الدموع

يا غزير الدموع! أين الدموعُ؟ كم تريد البكى وما تستطيعُ
كيف سلواك والفؤاد بما يُسْـ ـليه في فاجعاته مفجوع(١)
لهفَ نفسي عليك يا قلب يأبى فيك إلا الكُمونَ داء وجيع(٢)
عبراتٌ، بُرءُ الجوى لو أريقت، وسمام حتى تراق نقيع(٣)
كمنت فيك لا تفيض ولا تبر د فالصدر من شجاها صديع(٤)
لو جرت في السحاب أجفل أويأ زمُ عن سَبْحه الفضاء الوسيع(٥)
نضب الدمع أم مجاريه سدَّت أم فؤادي تاموره مقطوع(٦)
كلما رمت في الجوانح ماءً هاج للنار بينهنّ سطوع

(١) السلوى : العزاء.
(٢) الكمون : الاختفاء والتواري بعيدا عن العيون. الوجيع : الموجع
(٣) العبرات : الدموع. السمام : جمع سم. النقيع : المهلك.
(٤) صديع : متصدع، متهالك.
(٥) يأزم : يواظب علي الأمر ويلزمه. السبح : الجري الشديد. يقال للحصان السريع: سابح
(٦) تاموره : قلبه أو غلاف قلبه.

من يذق غصة الشراب فما بي غصة غير أن تفيض الدموع
إنما الحزن ريض ما استقى الد معَ وأندى الأحزان حزن رضيع
يحرق الجمرُ يابسَ الحطب الجز ل ويأبي الحريق لدنٌ مريع
فيك يا حب كل هذا ؟ فبعداً لك داءً ترياقه ممنوع(١)
غمرات وخدعة وجهادٌ وسهاد وحسرة وولوعُ

(١) ترياقه : دواؤه.

متى[1] !

متى يا عيون يعود الضياءُ؟   متى يا رياض يعود الربيع؟
متى تأمرين؟ متى تأذنين؟   متى تَقْبلين دعاء الشفيع؟

* * *

متي يرجع الغائب المرتجى   إلى صدر أمٍ براها السقام؟
متي يهبط النوم تحت الدجى   لعينيك يا ساهراً لا ينام؟

* * *

متى يطلع النجم للتائهين؟   وقد غرقوا.في ليالي الخطوب
متى يجمع الشطُّ تلك السفين؟   وقد عاث فيها الخضم الغضوب

* * *

متى يأذن الجائعون الظما   ء في الماءِ يطفيءُ حَرَّ الصدى
وفي الزاد يبقى ذماء الحيا   ة، وفي الخمر يعلو بها مُصعدا

* * *

متى؟ إي وربِّك قل لي متى؟!   وسلهم عن اليـوم والموعـد
فقد يُقبل الزائر المرتجى   ولا من مُلاقٍ له في غد؟!

***

إليك مثال السؤال العجيب   وأنت بأحلى مثال تجود
عشيةَ تبسم عند الودا   ع وتسأل : في أي يوم أعود!

الطير المهاجر

علمتني مواسم الروض أن الطير شتى : مهاجر ومقيم

أتراني لا أسمع الطير إلا	في رياضي معششاً لا يريم؛

رب شادٍ في هجرةٍ يتغنى	وعليه السلام والتسليم

من جنوب إلى شمال، وحيناً	من شمال إلى جنوب يحوم

فله حين يستقل وداع	وله حين يقبل التكريم

خذ من الطير كلَّ يوم جديداً	فسواء جديده والقديم

كم مُولٍّ وصفوهُ لا يُولّي	ومقيمٍ وصفوه لا يقيم

اليوم الموعود

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى		شوقي إليك، وما أُشاقُ لمغنم؟
شوقي إليك يكاد يجذب لي غداً		من وكره، ويكاد يطفر من دمي
أسرعْ بأجنحة السماءِ جميعها		إنْ لم يطعك جَناح هذي الأنجم
ودع الشموس تسير في داراتها		وتخطَّها قبل الأوان المبرم
ما ضرَّ دهرك إن تقدم واحدٌ		يا يومُ من جيش لديه عرمرم
لي جَنَةٌ يا يوم أجمع في يدي		ما شئتُ من زهر بها متبسم
وأذوق من ثمراتها ما أشتهي		لا تحتمي مني ولا أنا أحتمي
وتطوف من حولي نوافر عُصْمها		ليست بمحجمة ولست بمحجم
وتلذُّ لي منها الوهاد لذاذتي		بتصعُّدٍ في نجدها وتسنُّم
لم آسَ بين كرومها وظلالها		إلا على ثمر هناك محرَّم
فكأنما هي جنة في طيِّها		ركنٌ تسلل من صميم جهنم

أبداً يذكّرني النعيمُ بقربها حرمانَ مزءودٍ[1] وعُسرةَ معدم

وأبيتُ في الفردوس أنْعم بالمنى وكأنني من حسرةٍ لم أنْعَم

* * *

يا يوم موعدها ستُبْلِغُني المنى وتُتمُّ لي الفردوس خيرَ مُتَمَّم

لا غصن رابية تقصِّر راحتي عنه، ولا ثمر يعز على فمي

سأظل أخطر كالغريب بجنتي حتى أثوب على قدومك، فاقْدُم

فأبيتُ ثَم إذا احتواني أفقها لم أنْهَ عن أمل ولم أتندم

فرحي بصبحك حين تشرق شمسه فرح الضياء سرى لطرفٍ مظلم

* * *

أمعيرتي خلد السماء سماحةً صونيه عن ولَهٍ صيانةَ مكرم

رفقاً بخلدك أن تشوبي صفوه إنْ لم تريْ رفقاً بمهجة مغرم

(١) المزءود: الشديد الفزع.

يوم الظنون

يومَ الظنون صدعتُ فيكَ تجلُّدي وحملت فيك الضيم مغلولَ اليد(١)
وبكيتُ كالطفل الذليل أنا الذي ما لان في صعب الحوادث مِقوَدي(٢)
وغصصت بالماء الذي أعددته للري في قفز الحياة المجهدِ
لاقيت أهوال الشداء كلها حتى طغت فلقيت ما لم أعهد
نارَ الجحيم إليَّ غيرَ ذميمة(٣) وخذي إليك مصارعي في مرقدي
حيرانَ أنظر في السماءِ وفي الثرى وأذوق طعم الموت غيرَ مصرَّدٍ(٤)
أرْوَى وأظمأ عذبُ ما أنا شاربٌ في حالتيَّ نقيعُ سم الأسوَدِ(٥)
وأجيل في الليل البهيم خواطري لا شارقٌ فيه ولا منْ مُسعِدِ(٦)
وتعيد لي الذكرات سالف صبوتي شوهاء كاشرة كما لم أشهد

---

(١) مغلول اليد : مقيد اليد.
(٢) المقود : الزمام.
(٣) نار الجحيم إليّ : تعاليْ إليّ وأسرعي.
(٤) المصَّرد : الشراب الذى لا يعقبه ارتواء.
(٥) سم الأسوَدِ : سم الثعبان.
(٦) البهيم : المظلم.

مُسختْ شمائلها التي سعدت بها ... وبدت بوسْم في السعير مخلَّد

يا صبوة الأمس التي سعدت بها ... روحي، وليت شقيَّها لم يسعد

وعرفتُ منها وجهَ أصبحَ ناضرٍ ... ورشفت منها ثغر ألعَس[1] أغيد

سُومحت بل جوزيت كيف وعيت لي

بالأمس فيك ضراوة الذئب الصدي[2]

سُومحت بل جوزيت كيف طويت لي

زرق الأسنَّة في الإهاب الأملد[3]

أمسيت حربي في الظلام وطالما ... جلّيت لي وجه الظلام المربد

ورجعت أهربُ من لقاك وطالما ... ألفيتُ عندك في الشدائد مقصدي

ما كان من شيء يزيد تنعُّمي ... إلا يزيدُ اليومَ فيكِ تلددي[4]

أواه من أمسي ومن يومي معاً ... والويل من طول التردد في غدِ

(١) الألعس : الأسمر الشفة : وهى سمرة مستحبة. (٣) الأملد: الناعم والطرى.
(٢) الصدي : المتعطش إلي الدماء. (٤) تلدّدي: عذابي وشقائي ومعاناتى.

أهبُ الخلودَ كـرامـةً لمبـشـري		أن ليس يومي في العذاب بسرمد[1]
وأبيع حظي في الحـيـاة بسـاعـة		أنسى بهـا عـمرى كـأن لم أولدِ
وأسوم مرعى العـيش غير مزوّد		وأرودُ روْضَ الحسن غـيرَ مقـيّد[2]

(١) السرمد : الخالد والمستمر إلى الأبد.
(٢) أسوم مرعى العيش : أمارس الحياة وأعيش أحداث الزمان.

غيرة طفلة

مـــا كـــان أملج طفلة ... من غـيـر شيء تخـجلُ
ضـاحكتـهـا فـتـمـايلت ... وشـعــورها تتــهــدلُ
ورجـوت منهـا قـبلةً ... فـأبت كـمـن يتـدلل
وتعـبت وهي تصـدُّني ... حـينـاً وحـيناً تقـبـل
فـرفـعتُ مـرآة لهـا ... فـتطلعت تتـأمل
قلت انظري في وجههـا ... أفـأنت أم هي أجـمـل
قـالت وفـيـهـا غـضـبـة ... أنا بالملاحـة أمـثـل
ومـضت تقـول إلى متى ... تنسى الجـمـيل وتجـهل
وأقـــول ايـكمـا إذن ... أدعـو بهـا فـأقـبّل؟؟
عطفت عليَّ وكل محبو ... ب يغـار فـيـسـهـل

تبكين

تبكين! والهفَ الفؤاد يذيبه ... ذاك الحنين يذوب في خديك
أيراك باكية وأنت ضياؤه ... ونعيم عيشي كله بيديك؟
وعزيزةٌ تلك الدموع فليتها ... يقنو قُطيرتها نظيم سُلكِيك
لملأت ثَمّ يدي بأكرم جوهر ... من عطف قلبك فاض من عينيك

***

لو أستطيع جمعت كل ذخيرة ... في الدهر من ضحك يروق لديك
ونغمت أطربَ شدوه وجعلته ... بين الكؤيس العذب من شفتيك

فيضج مزدهياً بفيك وتنتشي ... فرحاً قلوبُ الناظرين إليك
ما أحسن الحسن المهذب ضاحكاً ... وأحب جلباب السرور عليك

***

والله ما ضنّ السرور وما ونى ... يَشتاق هزته على عطفيك
لو شئت كل مسرة مبذولة ... لجثت مسرات على قدميك

إلى ربة الحب
الزُّهَرَة

فـــريدةَ الأفق أســـعـــديني وخـــالسي النجم وارمـــقـــيني
وسلسلي النور صـوبَ عـــيني وعـن شــمـــالي وعن يميني
أشـعـــةً ينبـــثـــقن شـــتى كـــأنهـــا عـــذْق ياســمين[1]
أراك تـغــــــوينني بوحيٍ إلى الســـمـــوات يزدهيني
إغـــواءَ ذات الدلالِ صـــينت في ذروة المعـــقل الحـصين[2]
فـــهل ســبــيلٌ إليك يُبــغى وأنـت أعـلى مـن الظنون؟

* * *

فـــيك ضـــلال وفـــيك رشـــد فـــضلليني وأرشـــديني
بين وجـــــوه تضل من لا يضل في ضـــوئهـــا المبين
كـــوني مناراً فـــالحب بحـــرٌ قلوبنا فـــيـــه كـــالســـفين

لما تجليتِ لي اســـتــضـــاءت خـــواطري وانجلت شـــجـوني
يـا طالما تـخـــــدع الدرارى لـواحظ الشــاعـــر الحـــزين

---

(١) العذق : الفرع والغصن من الشجرة

(٢) المعقل الحصين : القلعة المنيعة.

طلعة الحلم

يا طلعــة الحلم مــتى ألقــاكِ؟ فـــداك كل طلعـــة فـــداكِ
مـا النور من شـمس ولا أفـلاك جــلاُّك لـي، كـــلاّ، ولا حــلاُّكِ
أنت ارتفــعت بي إلي عـلاك وهـبــــــتنـي نـوراً بـه أراكِ
لو لـم أكن أصــغي إلى خُطاك قلتُ خــيــالٌ من قـــوامٍ زاكِ[1]
فـي لجـــة النور بدا يُحـــاكي صـورتَه في عـــالم الأمــلاك[2]
فـي مـــعـزلٍ عن ضـاحك وباكِ فـوق غـرام النفس مـشـتــهـاكِ
إذا المنى حـــامت على ذُراك فـــإنما تـصـبـــو إلى مـــعناك[3]
وبـالـتــــســـابـيـح تمنيناك وكل حــسـن يُشــتــهَى سـواكِ
تعـــاليـــاً عن تلكم الشـــبــاكِ
حـاشــاك من دنيـا الهـوى حـاشـاكِ

(١) زاك : جميل ومتألق.
(٢) ذراك : قممك العالية.
(٣) اللجّة : الموجة العاتية، ولجة النور : النور الغامر.

خواطر وهواجس

يوم ميلادي

يومَ ميلادى تقدمْ ... وتأخُّرْ ... وتكلّم
لا تقل لي قبل عام ... كيف كنا، أنا أعلمْ
لا تقل لي بعد عمري ... كيف نُمسي، لستَ تعلم
غاية الأمر أظانـ ... ـينُ، وبعض الظن يأثم(1)
سوف نمسي مثل ماكنـ ... ـا، ولم نولد ونُفطَم
إن يكن ذلك شيئاً ... لستُ بعد الموت أُعدَم
أو يكن ليس بشيء ... أترى «لا شيء» يندم؟!
أيُّهُا الحالين قل لي ... بعد طول العمر أسلم؟!
تظلم الموت إذا قلـ ... ـت ظلومٌ ليس يرحم(2)
نحن لا بالموت أُعْطِينا ... ولا بالموت نُحرم
من يَعُدْ يوماً كما كا ... ن فقد تمٌ وتَمَّم
صفقة الأعمار فيها ... قلة الخسران مغنم

(1) أظانين : جمع ظن. (2) ظلوم : كثير الظلم.

إلى الشفاه لا إلى الآذان

فـــيم أروي لكِ شـــعـــري؟ أنـــــا أدرِي، أنـــــا أدري

* * *

أنـا أدري يا فـــتـــاتـي حـــيـث أُلقي بالأغـــانـي

إن شـــعـــري ســـمـــعـــتـــهُ شـــفــتـــانِ .. شـــفــتـــان !

ها هـنـا ســـرب إلـي القلـــب الـذي أعـنـيـــــه دان

* * *

رفَّ شـــعـــري حـــيث رفَّت بالأمـــانـي قـــبـــلاتـي

وتصـــفَّـــحـت صــــداه قـــبـــســـاً في الـوجنات

هو من ثـغـــر فـــتــاتـي وإلى ثـغـــر فـــتـــاتـي

* * *

فـــيم تسـعـى رحلتي بيـــن المـعـــــانـي وتـطـولُ

ها هنا الشـعـــر ومـوحي الـــشـعـــر يصـــغـي ويقــولُ

كل إصـــغـــاء لـعـــمـــري. بـين هـذين فـــضـــولُ

نفثة

غـــــرّبوا قلبي وهم وطن ومـضـوا عني ومـا ظعنوا[1]
واســتــقلوا حــيث لا رُسل تبلغ المســـعى ولا سُنن[2]
هجـروا والهـجـر مـبـعـدة ليـتـهـا تجـتـابها السـفن
أين منا دار وصلتــــهم؟ قــربت لو أنـهــا مـــدن!
دارهم لا قُـــــوضت أبداً غُـــرة في ظلهـــا سكنوا
غِـرّةٌ في الحـسن تبـعـدنا وبهـا في الحـسن نفـتتن
أين لا أين الـقـــرار بنا آذنـوا بـالبـين أم قـطـنوا[3]
دارهم من حـيـثـمـا نزلوا قـنة تـعنو لهــا القـنن[4]
أي فـــــردوس علـمـت بـه لم يحـطه الموت والإحـن[5]
هذه الجـنات نبـــصـــرها هل لنا في بعضـهـا وطن؟

***

(١) ظعنوا : رحلوا وسافروا.
(٢) سُنن : علامات وسُبل.
(٣) البين : الفراق . قطنوا : أقاموا.
(٤) القنة : أعلى الشيء وقمته.
(٥) الإحن : جمع إحنة : البلاء الشديد.

مـــا لكم يا روضَ أنفــسِنا　　لا يقــينا شــمــسَكم غــصن؟
لو علمـــتم مـــا نكابده　　لانَ منكم جـــانب خـــشن
رحـــمــــةً يا من نهــيم به　　وهو يقـــــلانا ويطـطغن
هل علمتَ الجمر مفترَشاً　　والصلالَ السود تُحتضن[1]
ذاك أو حــمى تَضَـمّنها　　جسدٌ واهي القوى ضمِن[2]
تتلقـــاه بصْـــرعــتــهـــا　　فـــيـــحـــار الموت والوهن
بعض مــا نلقــاه من شــجن　　بك والنوام قــــد سكنوا
عندمـــا يخلو الظلام بنا　　حـــــيث لا عين ولا أذنُ

* * *

زمنى جـــوزيت يا زمني　　أي بأس فـــيك لا يهن[3]
مـــا الذي أبقـــاه لي زمني　　غـال صـفوي كله الزمن[4]
ليس لي في مــبــصَــر أمل　　كل شيء فــيــه لي شــجن
لا أرى في القــبح من حــسن　　فلمـــاذا يقـــبح الحـــسن

---

(١) الصلال : الحيّات
(٢) ضمن : مريض وعليل.
(٣) لا يهن : لا يضعف.
(٤) غال : بدد وقضى على.

شـاهت الأوصـاف في نظري ... سـرها المخـبـوء والعلن[1]
مـا الأمـاني؟ إنهـا خـدع ... مـا الغـواني؟ إنهـا دِمَن[2]
مـا الصداقات التي زعـموا؟ ... إنهـا البـغـضـاء تؤتمن[3]
مـا العـلا؟ مـا المجـد؟ في أمم ... مـجـدها بل ربهـا وثـن[4]؟
مـا السـجـايا الغـر وا أسـفـا ... إنـهـا حـلم ولا وسـن[5]
بـل سـل الأقـدار إن نطـقـت ... مـا حـيـاة شـأوها بـدن
نشـتـري أنفـاسـهـا قطعـاً ... وهي نعطيـهـا ولا ثمـن
أقـصـارى الطـرف مـن نظـر ... رؤيـة بـالـويـل تقـتـرن؟[6]
والعـمـى رزء وإن وضـحـت ... في ضـيـاء المبـصـر المحن
ضـل عـقـل لا ترفّـهـه ... نـشـوة تـطـفـو بمـا يـزن
إنمـا يشـقـى الفـؤاد ومـا ... شـقـيـت إلا بـه الفطن[7]

(١) شاهت : قبحت.
(٢) الدمن : جمع دمنة ، الأثر المتخلف من الديار.
(٣) البغضاء : شدة الكراهية.
(٤) وثن : صنم.
(٥) السجايا الغرّ : الأخلاق والطباع الكريمة.
(٦) القصارى : الغاية والمنتهي. الطرف ، البصر.
(٧) الفطن : العقول.

عهد بين عامين

أحـــبّكِ في الســنة الآتيـــة ... كـحـبـيك في السنة الماضـيـة
ويكبــر شــوقي بطول المدى ... كـمـا تكبـر الدوحـة الناميـة
«سعـاد» ويـا حسن هذا الند ... اء إذا مـا وجدتك لي صاغيـة
نســيتُ التــواريخ إلا التي ... تعـــود بذكـــرك لي راوية
فــأنت الزمـــان وأنت المكا ... ن وأنت غنى النفس يا غـانية
ولست أعــدُّ حــســاب السنـ ... ـين بالشـمس طالعـة خـافـية
ولكن بوجـهك لي مـقـبـلاً ... ونظرتك الحلوة الســاجـيـــة
فــيـوم الرضى عـالم حـافل ... من الحب والذكـرة البـاقـيـة
ويـوم النوى عـــالم مظلم ... تَضل الشـمـــوس به هاوية

* * *

دعي الناس يحـيـون أيامـهم ... ويَلْهـونَ بالضـجـة الخـاوية
فـعـيـدي بقـربك لا ينقـضي ... وأعــيــادهم كلهــا فـانيــة
إذا انتظروا العـــام لم أنتظر ... سـوى لمحـة منك لي كـافـيـة
فـهـاتي سروك لي صـافـيـاً ... وجـودى بأعـيـادك الغـاليـة
ودمت لعـــبـــاسك المرتضى ... ومـتّعت بالحسن والعـافيـة[1]

(١) عباسك المرتضى: يقصد الشاعر نفسه.

صوت من السماء

لمـــا رأتـــنـــيَ أهـــلاً لأن تراني مـــحـــبـــا[1]
وأرســـلـــت لـــيَ نـــوراً من قلبـهـا الرحب رحـبـا
رُدت إليَّ حـــيــــاتي روحـاً وجـسـمـاً وقلبـا
وأخـصـَب الشـعـرُ عندي وكـــان بـالأمس جـــدْبا
لا بل عـلمتُ يقـــينـاً علمـاً مع الروح شـــبـا
بـأن للحب صـــوتـا من الســـمـــاء يُلبَّى
وأن للعـــيش مـــعنى وأنّ لـــلـــكـــون ربّـــا

(١) أهلا : مستحقا وجديرا.

الحان والمسجد[1]

تريدين أن أرضى بك اليومَ للهوى   وأرتاد فيك اللهو بعد التعبيد
وألقاك جسما مستباحاً وطالما   لقنيتك جمٌّ الخوف جمٌّ التردد

رويدك إنني لا أراك مليئة   بلذة جثمان ولا طيب مشهد
جمالك سم في الضلوع وعشرة   ترد مهاد الصفو غير ممهد[2]
إذا لم يكن بد من الحان والطلى   ففي غير بيت كان بالأمس مسجدي[3]

---

(١) الحان : مكان شرب الخمر.
(٢) مهاد الصفو : السرور المهيأ والمتعة الجاهزة.
(٣) الطلى : الخمر.

كلماتي

كلمـــاتي ! كلمـــاتي ! صـدق الوعـد فـهـاتي
هل مـعـيني وحيك الصـا دق أو وحـي اللغــات؟
أنا أستـأديك[1] مـا لم تـبـلغـــيـــه بأداة
من مـعـان تتـعـالى عـن لسـان ولهـاة[2]
فـاسـألي الأرباب عن تلـ ـك المعـانى الخـالدات
أوسلي الصمت فكم صمـ ـت له علم ثقـات
ينتـهي شـأو الأحـاد يـث إليـــه والرواة
وبــه لاذ هــداةٌ عــرفـوا وحي النجـاة

* * *

انـظري يا كـلمـــاتي وأصــيــخي في أناة
مـا ضـيـاءٌ ثَم في الأفـ ـق، وفي كل الجـهـات

(١) استأداه الشيء : طلب منه أداءه.
(٢) اللهاة : لحمة مشرفة على الحلق.

لا مــــن الارض ولا مــــن دارة الأفـــــــــلاك آت

لا تراه غـــيــــر عـــيـنـي وهــو مــلء الــكــائــنــات

هل يرى الدنيــا امــرؤٌ لم يـــر منــه قـــبـــســـات؟

كـلـمـــــاتي أنت فـي وا د من التـيـــه شـتـــات[1]

اســــــألـي الأربـاب عـنـه أو سلي الصـــمت وهاتي

* * *

كلمـــاتي مـــا تقـــول ـين إذن يا كـلمـــــاتي

مـــا نعـــيمٌ يمنح الكـ ـف غـــذاء المهـــجـــات

تقــصـــر الألبـــاب عنه وهو بعض اللمـــســـات

في يدي أدعــوه خــصــراً تـــــارةً أو زهـــــرات

في فــمي أدعـــوه ثغــراً تارة أو قــــبــــلات

وفـؤادي؟ مـا اسم مـا فـيـ ـه إذن يـا كـلمـــــاتي

اســـــألـي الأرباب عـنـه أو سلي الصـــمت وهاتي

* * *

(١) الشتا : المتفرق.

نشــــواتٌ تلك ؟ لا بـل تلك فــــوق النشـــوات

يـقـظـات تـلـك؟ لا بـلى تلك غــيــــر اليـــقظات

بلغت منهـــا مــــداها وارتقت مـــرتفـــعـــات

تسلس اليــــقظة للوصـ ـف وتصــــغـي وتؤاتـي

فــــإذا جـــازت مـــداها لزمت صــمت السـبـات

كلمـــاتي ! مـــا تقـــولـ ـين إذن يـا كـلـمــــاتـي

اســـألي الأرباب عنهـــا أو سلي الصـــمت وهاتي

* * *

لحـظـة تمـنـح قــلـبـي كل هاتيك الهـــبــــات؟

لحظة ترفع عـــــمــــري حـــقــبــاً مـــتــصــلات؟

ربَّ عــــمــــر طال بالرفـ ـعــــــة لا بـالـسـنـوات

لحـظــة ؟ لا بــل خــلــود لاح بـــين الــلــحــظـات

كــالســمــاوات تراهـــا من شـــبـــاك الحلقـــات

ربَّ آبـــاد تجـــلّـــتْ من كـــوى[1] مـــخـتـلفـات

(١) جمع كوة وهي فتحة في الحائط.

وقُطيرات زمان | ملأت كأس حياة
وإذا ما طغت الكأ | س فقل في السكرات!
سكرة تُغشي وأخرى | تغتلي بالصحوات[1]
هكذا بتنا رفيقـ | ـين لزيّي لشمات
غائبٌ غافٍ، وصاح | لحفيف الهمسات
كلماتي. ما تقوليـ | ـن إذن يا كلماتي
اسألي الأرباب عنا | أو سلي الصمت وهاتي

* * *

أين أملاكٌ على | أبراجها المطلعات
تصقل الآفاق في الليـ | ـل وتجلو النيّرات[2]
لا أرى الدنيا على نو | ر الليالي الغابرات
أين؟ لا بل ندع الدنيـ | ـا وراء الحجرات
نورنا الليلة مصبا | حٌ وليدُ اللمحات
غض جفنيه حياءً | من غضيض النظرات

(١) تغتلى : تزيد وتشتدّ (٢) النيرات : الكواكب والنجوم المضيئة

شـفـقـيـاً أو فـقـل إن … شـئـت فـجـريّ السِّـمـات
عـسـجـداً بـارك حـسـنـاً … عـسـجـديًّ الـبـركـات[1]
سـبـحـتْ عـيـنـي ونـفـسـي … ويـدي فـي غـمـرات[2]
فـي كـنـوز مـنـهـمـا أيٍّ … كـنـوز مـغـنـيـات
ثـروة أنـفـق مـنـهـا … لـحـيـاتـي ومـمـاتـي
ولـبـعـثـي يـوم أن تُـبـعـث فـي الـطـرس وَصـاتـي
كـلـمـاتـي ! مـا أراك الـيـوم إلا خـاذلاتـي
عـنـك أغـنـتـنـي كـنـوزي … وكـنـوزي مـلـهـمـاتـي

* * *

سـمـعـتـنـي كـلـمـاتـي … واسـتـعـادت دعـواتـي
ثـم قـالـت فـي حـيـاءٍ … كـالـعـذارى الـخـفـرات
بـاح لـي الـصـمـت ولـكـن … فـاتـنـي أيّ فـوات
قـال سـامـوك عـسـيـراً … فـي الـتـمـنـي يـا بـنـاتـي
ارجـعـي، ثـم أعـيـدي، … ثـم عـودي صـاغـيـات

(١) العسجد: الذهب. (٢) الغمرات: جمع غمرة وهي الشدة والحادثة الشديدة.

مـــرة أو عـــشـــرات وإذا اسطعت مـــئـــات
مـــا بدرسٍ واحـــد تُو فين هاتيك الصـــفـــات
هكذا يا شـــاعـــري ألـ ـهـمني الصمت فـهـات
هاتهـــا وافـــرح بإحـــسـ ـاني وراقب حـــسناتي
لا يبـــوح الصـــمت إلا درجـــاتٍ درجـــاتِ

* * *

كلمـــاتي ! صـــدق الصـمـ ـت، أجل يا كـلمـــاتي
غـــيـــر أني لا أعـــيـد الأ مسَ إلا بـصـــلاة
مـــرجع الأمـــر لمن ضـمـ ـت رجـــائي وشكاتي
يملك العـــودة من أحـيـــا مـــن الأرض المـــوات
فـابعـثي الصـمت إليـهـا في خـــشـــوع وتَقـــاةِ
ربمـــا أعـــطـــتْ وإن لـــم تســـألي يا كـلمـــاتي

خواطر في شؤون الناس

القدريشكو

صـغـيـر يطلب الكَبـرا　　وشـيـخ ودَّ لـو صَـغُـرا
وخـالٍ يشـتـهي عـمـلا　　وذو عـمـل بـه ضـجـرا
ورب المـال فـي تـعـب،　　وفـي تعب من افـتـقـرا
ويشـقـى المرء منهـزمـا　　ولا يـرتـاح منتـصـرا
ولا يـرضـى بـلا عَـقِـب　　فـإن يُعـقـبْ، فـلا وزرا[1]
ويبـغـي المجـد فـي لهف　　فـإن يظفـر بـه فـتـرا[2]
ويخـمـد إن سـلا، فـإذا　　تـولّـه قـلبـه زفـرا[3]
فـهـل حـاروا مع الأقـدا　　ر أوهـم حـيـروا القـدرا!
شـكـاةٌ مـا لـهـا حَكَـم　　سـوى الخـصـمين. إن حضـرا

---

(١) الوزر : المعونة والتأييد.
(٢) فـترا : سكن وهمد وانطفأ.
(٣) تولّه : اشتعل بالعاطفة.

كواء الثياب ليلة الأحد

لا تَـنَـمْ، لا تـنـم		إنّهم ساهرون
سـهـروا في الظلم		أو غَـفَـوْا يحلمون[1]
أنت فيهم حكم		وَهُـمُ ينظرون
في غدٍ يلبسون!		في غدٍ يمرحون

* * *

كم إهاب صقيل		يا له من إهاب[2]
وقوام نبيل		في انتظار الثياب
وحبيب جميل		يزدهي بالشباب
كلهم يَحْلُمُون !		في غد يلبسون

* * *

أسْلَمُوك الحُلل		كالربيع الجديد[3]
في احمرار الخجل		أو صفاء النهود
تُشتهى بالقبل		لا بِمَسِّ الحديد[4]

(١) غفَوا : ناموا.
(٢) الإهاب : الجلد والبشرة.
(٣) الحلل : جمع حلة يقصد بها الثوب والرداء.
(٤) مسّ الحديد : يقصد حديد المكواة.

يا لهـــــا من فنّون　　بهـــجـــة للعـــيـــون

* * *

طُويت كــــالعــــجين　　فــاطْوِ فــيــهــا الجــمــال
لمســــــة بــاليـــــمين　　عــطفـــة بالشــــمـــــال
والعـــجين الثـــمين　　في اســتــواء «المثــال»
فــيــه مــاسَتْ غــصــون　　مــن جــنــاهــا الجــنــون

* * *

زد نصـيب الحـبـيب　　من هوى وابتـــســـــام
بـالكســـاء القـــشـــيب　　رفّ حـــول القَـــوَام
لك فــيـــهــم نصــيب　　غـــيـــر كيّ الغـــرام
عند بَرْح الشـــجـــون　　هُمْ هُمُ المكتـــوون[1]

* * *

الضــــــرام اتقــــد　　في المكاوي الشــــداد
هل خـــبـــا أو برد　　أو عــــلاه الرمــــاد ؟
ذاك يــوم الأحـــــد　　أيــن مــنــك الرقـــــاد
إن قـــضـــيت الديون　　كــلّ نــارٍ تــهـــــون[2]

(١) بّرح الشجون : لهيب الأشواق ونار المعاناة.　　المكتوون : الذين يعانون شدة الوجد والهيام.
(٢) يقصد برد الديون : إرجاع ما يكويه من الثياب لأصحابه.

***

أنا مـــــصغٍ إلـيك		فـي الـظـلام الـطـويـل
ســـــامع من يديـك		كلُ ضـــرْبٍ ثقـــيـل[١]
نـاظـر مَـــوْقـــدَيْك		منذ غـــاب الأصـــيـل
بين غـــمض الجـــفـــون		واطِّـــراد الـــســـكـــون
يـا أخـــــا الـفـن لا		تَدْعُـــهـــا بالشـــيـــاب
وارْقَ مـنـهـــــــا إلـى		مـا احـتـوتْ من شـبـاب
وجـــمـــــالٍ حـــــلا		وحــيـــاة عُـــجـاب[٢]
وتـــفـــلـــسـف عـــلــى		مـا احـتـوت من رقـون[٣]
تَـــحْـــيَ بـــين الأولـــى		خلفـــهـــا يـخـــتـــفـــون
تَلْقـــهـم يهـــمـــســـون		وهم صـــــامـــــتـــــون
والـلـيـــالـي تـهـــون		والـــكـــرى والمـــنـــون[٤]

---

(١) الضرب الثقيل : يقصد به وقع المكواة وهو يحركها علي الثياب والنار والضرب الثقيل أيضا مصطلح في الموسيقي العربية.
(٢) العجاب : العجيبة، المثيرة للفكر والتأمل.
(٣) الرقون : وسائل الزينة والأصباغ التي يتجمل بها النساء.
(٤) الكرى : النوم. المنون : الموت

القمة الباردة

للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتر عندها الحياة. فإذا نظر الإنسان إلي حقائق الأشياء لم ير شيئاً ولم يشعر بشيء لأن حقيقتها كلها أنها ذرات ترجع إلي حركة متشابهة في كل ذرة. فخير له ألا ينظر إلي الحقائق كل النظر ولا يعرض عن الظواهر كل الإعراض، لأن الحي لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التي تقع عليها الحواس وتدركها البديهة، فإذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة إلي قمتها الباردة التي لا يشعر فيها بحياة.

إذا ما ارتقيت رفيع الذرى ... فإياك والقمةَ الباردة[(١)]

هنالك لا الشمس دوارة ... ولا الأرض ناقصة زائدة

ولا الحادثات وأطوارها ... مجددة الخلْق أو بائدة[(٢)]

قوالب يلتذ تقليبَها ... أناسٌ وتبصرها جامدة

ويعجب قوم بترقيشها ... وألوانها أبداً واحدة[(٣)]

وتعلو وتهبط جدرانها ... وآساس جدرانها قاعدة[(٤)]

ويا بؤس فانٍ يرى ما بدا ... من الكون بالنظرة الخالدة

فذلك رب بلا قدرة ... وحَيٌّ له جثة هامدة

---

(١) الذرى : جمع ذروة وهى القمة العالية.
(٢) الترقيش : التزيين والتلوين.
(٣) بائدة : زائلة وهالكة.
(٤) آساس : جمع أُسّ وهو قاعدة البناء.

إلى الغور!! أما ثلوج الذرى فلا خير فيها ولا فائدة[1]

* * *

يا ربة الحب كلميني إني على طورك المكين

أو فاهمسي لي باللمح سراً همس فطين إلى فطين

أدين بالحب فهو دين لكل من دان باليقين

وربَّ ليل سما جبيني إليك يا قِبلة الجبين

أذكر أعيادك اللواتي أسْهرنَ ما شئن من جفون

من شادنٍ بالزمان يلهو عَلَّمْتِهِ لوعةَ الفتون

أو طفلة بالصبا لعوب أورَثْتِها فرحة الغبين

والناس إلا بَنيكِ غاصوا في لجة النوم والسكون

فليس إلا خفوق قلبٍ يكاد ينشق بالوتين[2]

أو زفرة من فؤاد صب يعارض السجع بالأنين

أو والهٌ قائم يصلي إليكَ بالمدمع الهتون

أو بث خِلين في عناق حنًا إلى الوصل بعد حين

(١) الذرى : القمم.
(٢) الوتين : الشريان الرئيسى الخارج بالدم من القلب لتغذية الجسم.

أو نسمات الصباح تسري　　من الروابي إلى الحزون(١)
تحمل نفح الرياض شتى　　من كل زهر على الغصون
تندسُّ بين الثمار فجراً　　كاللص في هجعة العيون(٢)
تكتم أنفاسها وتخشى　　من لفتة الغصن والطنينِ

* * *

وربَّ ليل سمعت فيهِ　　من فمك الساحر الامين
مقالة بعضها جنون　　والبعض شرٌ من الجنون
«إن زمان الشباب ليل　　فاقضوه في اللهو والمجون
لا تنقصوا ليله بنوم　　كفاكمُ نومة المنون
تمتعوا بالشباب وامضوا　　كما مضت غابر القرونِ
سترجع الكأس فاحتسوها　　إلى مدير بها ضنين
تديرها بعدكم يداه　　آهٍ من الغادر الخؤون
والشيب صبح، إني لأخشى　　عليكمُ بغتة الأذينِ(٣)
فنادموني من قبل يوم　　يؤودكم أن تنادموني»(٤)

---

(١) الحزون: جمع حَزن أي الأرض الوعرة الخشنة. (٣) الأذين: الحاجب، والمقصود به هنا: الموت.
(٢) هجعة العيون : نومها ورقادها. (٤) يؤودكم : يشق عليكم ويصعب.

عابر سبيل
بيت يتكلم

كل بيت من البيوت التي تعاقب عليها السكان لو ألقيت عليه طِلَّسْمَ الخيال وأمرته بالكلام فتكلم لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدحم بها فضاء المكان، ولسمعت عجباً لا تسمع الآذان أعجب منه، وليس الذي يتحدث به «البيت» في القصيدة التالية إلا قليلاً من كثيره :

جـــمـــيع الناس سكاني فـــــهـل تدرون عنواني؟
ومـــا للناس من ســر عـــدا آذان حـــيطاني
حـــديثي عـــجب فـــيـــه خـــفـــايا الإنس والجـــانِ
فكم قـــضّـــيتُ أيامي بـأفـــراح وأحـــزان!
وكـــم آويـــت مـــن بَـــرٍّ وكم آويت من جـــان![1]
فـــإن أرضـــاكمُ ســـري فـــهـــاكم بعضَ إعـــلاني

* * *

بني الإنســـان لن أحـــفـــل في دهري بإنســـان

(١) البر : الصالح والتقيّ. الجاني : الآثم والمذنب.

ألم أعْرِفْكُمُ طرا ... فلم أسعد بعرفاني؟
أتاني أول السكْنِ ... وما استوفيت بنياني[1]
وما أرهفت آذانا ... ولم آنس بقطان[2]
وأصغيت على مهل ... فطاشت كل آذاني
هما زوجان، أو شيطا ... نة لاذت بشيطان
وقد عاشا وفيين ... بتقدير وحسبان
وراحا - هكذا يحكو ... ن - في روح وريحان
وما أبصرت من هذا ... ولا من تلك في آن
سوى خوانة خر ... قاء تفري عرض خوان[3]
إذا ما ضحكا يوما ... على غش وبهتان
حسدت البيد والأطلا ... ل في غيظي وكتماني
وأشفقت من النقـ ... ـمة أن تهتز أركاني

(١) السكْن : السكان.
(٢) قطان : جمع قاطن أي ساكن.
(٣) تفرى : تشق وتفتت.

* * *

وجـــاء الســـاكن الثـــاني   وبئس الســـاكن الثـــاني
يـراه الـنـاس ذا مـــــال   وأفـــــراس وغـــيطان
وقـــد شــوهني بخـــلا   وأعـــراني وأعـــيـــاني
وقـــد صـــيـرني ســجنا   ومنـه كـــان ســـجـــاني
فلمـــا طال بي عـــهـــداً   ولم أســعـــد بهـــجــران
وَدِدْتُ لـــو أنَّ لـــي فـــي   كلٍّ جـــحـــز أَلْفَ ثعـــبـان
بـديـلا مـنـه أرضـــــاه   وأحـــبـــوه بغـــفـــراني
وأنفث ســـمَّــــهـــا أو يتـ   ـقي شــري ويخـــشـــاني
إلـى أن آده أجــــــــري   ولم يظـفـــر بنقـــصـــان[1]
فـــــأخـــلاني، ولـن أنســ   ـى ســـروري يـوم أخـــلاني

* * *

وكـــان الســـاكن الثـــا   لـث ذا عـــــز وسلطانِ

---

(١) آده : أثقله وأعجزه.

فـــمـــا ارتـبـت بـأنَّ الـعـ ـز والـذلـة ســـيـــان
ومـــا ألـفـــيـــتـــه إلا لـئـــيـمـــاً جـد غـــفـــلان
ضـعـــيـفـا يـســتـر الـضـعـ ـف بـطـغـــيـــان وعـــدوان
وكـم أذعـــن لـــلـطـــاغـــي عـلـيــــه شـــر إذعـــان
إذا مـــــــا لـقـي الـنـا سَ يِـكْـبِـــــرٍ منه طـنـان[1]
فـــمـــا أصـــغـــر مـــا ألـقـ ـاه مـنـه بـين جـــــدرانـي

* * *

وأمـــا رابـع الـقـــــوم فـــذو علم وتـبـــيـــان
حـــشـــا بـالـورق الـيـــا بـس والأخـــضـــر حـــيـشـــانـي
فـــمـــا لـي مـــوضـع في الأ رض أو مـن فـــوق عـــمـــدان
ومـــا لـي مـطـبـخ أو مـــخـــد ع أو بـهـــو ضـــيـــفـــان[2]
ولا زاويـــــــــــــة إلا وفـــيـــهـــا الـكـتـب تـلـقـــانـي
أبـى لـلـنـفـس دعـــــــواهـا ولـم يـســـمـع لجـــثـــمـــان

(١) الطنان : الذائع والمبالغ فيه.
(٢) ضيفان : ضيوف.

فــلا ســهــرة أحــبــاب ولا جلســـة ندمـــان

فـــمـــا أجــهلـه بـالخلق ذاك العـــالم العـــاني!

أبـين الـنـاس يحـــتـــا ج إلـى عـلـمٍ وبـرهـان؟

وهم عـــمـــيـــان ظلمـــاء ســروا في إثْرِ عـمـيـان؟

كـــثـــيـــر لك يا إنســا ن في دنـيــاك عــينان!!

* * *

وأمــا الخـــامس الجـــاني فنـاهيك بشـــهـــوان

فـــمـــا زودني إلا بـــأثـــداء وأعـــكـــان[1]

وهُتّـــاف بـألْحـــانِ وسُـــمّـــار على الحـــان

إذا أمــســيت مـســاني بـــأشـــكـــال وألـــوان

على الأبـواب مـــا يرضـ ـيك من حـسن وإحـسان

ومن صـــون لأســمـــاع ومن غـض لأجـــفـــان[2]

فـــلا تـنظرهُمُ ثَمَّـــةَ وانظر بـين أحـــضـــاني

(١) أعكان : جمع عكن وهو ما تثنى من لحم البطن بسبب السمنة.
(٢) غصن الأجفان : إغلاق العيون.

فيـــا لله كم في الأ رض من غِيٍّ وغُيَّان[1]
وكم في القوم من مخد وع آباء وإخوان
وأزواج وأصهار وخلان وأخدان[2]
لو أني قلت ما أدري لهدوا كل أركاني
فنعم الصمتُ والحكمـ ـةُ يا صخري وصواني!

***

وكم صاحبت من أصـ ـحاب آداب وأديان
تجافوا وصمةَ العاصي وعافوا شهوة الزاني[3]
وباتوا بين قربان وترتيل لقرآن
ولم يَأْسَوْا من الد نيا على غبن وحرمان
إذا ما شَرفَتْني زمر ةٌ منهم بصحبان
حسبت الأرض تجفوني فأنساها وتنساني
وقالوا الجان لا تقر ب من مجلس فرقان

(١) ألغى : الضلال. غُيّان : جمع غوتى : الضال غير المهتدى. (٣) عافوا : كرهوا وتجنبوا.
(٢) الأخوان جمع خدن : الصديق والرفيق.

فقد ألفيت بعض الإنـ | س في العنصر كالجان[1]
ولكن شر ما آو | يت في لؤم وعصيان
رياء الخائن العادي | على أهل وأوطان
تلقّاهم بتمويه | ولاقوه بإيمان
وفي حجرة أسراري | وفي ظلمة أوْكاني[2]
يبيع الحوزة الكبرى | بِرَبْعٍ أو ببستان
ويعطي الحق والذمـ | ـة والفتيا بأثمان
ويمشي بين قتلاه | رفيع الذكر والشان

* * *

ولم أحمد من الضيـ | ـفان ضيفاً مثل فنان
تولاني بإبداع | من الفن وإتقان
وغطى كل جدراني | بمنضور ومزدان
وأوحى الحسن واستو | حاه من جنات رضوان

(١) ألفيت : وجدت.
(٢) أوكان : جمع وكن : المأوى والعش.

فــحــيـنـا حــسـن مكســوٌ　　وحـــيـنـا حـــسـن عـــريـان

بـريـئـــا فـي ســـمـــاء الفـ　　ـن مـن عـــــيـث وأدران[1]

وفـــتـــانـا عـلى الحـــا　　لـين لـكـن أي فـــتـــان

كـــمـــا تفـــتـنك الـزهـ　　رة فـي أعـطـاف أغـــصـان

* * *

جــمـوع لـست أحـصـيـهـا　　ولـــو دونـــت ديـــوانـــي

ومـــثـلـي كـل جـــاراتـي　　ومـــثـلـي كـل جـــيـــرانـي

عـــرفـت الـنـاس أشـتـــاتـا　　بـلا عـــد وحـــســـبـــان

فـلـم أعـــرف أأعـــــداد　　هُـم أم جــــمـع أقـــران؟

إذا مـــا اخـــتـلـفـــوا فـي　　ســيـــمـة تـبـدو وشـغـلان[2]

فــهـم فـي المـوت أشـــبـــاه　　وفـي ســقـم وأشـــجـــان

ومـــا مـنـهـم فـــتـى إلا　　بـكـى حـــيـنـا وأبـكـانـي

مـــســـاكـين فـــلا تحـــفـل　　مـن الـنـاس بـإنـســـان

---

(١) العيث : الفساد والتشويه. أدران : قاذورات وشوائب.
(٢) سيمة : شكل وصورة.　شغلان : عمل.

ولا تحسد فتى منهم	على بأس وإمكان
فأعلاهم وأدناهم	أمام الغيب صنوان[1]

* * *

نزيل المنزل الخالي | ألا تعرف عنواني؟
إذا ما طفت حوليه | فثق أنك تلقاني
فما من منزل إلا | وفيه بعض ألواني
تأمل في نواحيه | وراقبه بإمعان
ولا يخدعك صمت فيـ | ـه أو تفتيح بيبان
ولا تحسبه خلوا من | مغاليق وأكنان[2]
إذا ما كنت مستحضر | أرواح وحدثان[3]
فقف في المنزل الخالي | وأرهف سمع يقظان
وأغمض فيه أجفا | نك وانظر غير وسنان

(١) صنوان : مثنى صنو أى شبيه. (٣) حدثان الدهر : أحداثه ومصائبه.
(٢) أكنان : جمع كنّ والمقصود به المأوى والكهف والسّاتر.

تـر الأطيـــاف أفـــواجـــا وتسـمع مــوج طوفــان

وتجـــمع كل مـــا يُجــمع من ربح وخـــســـران

ولا يــخــطــئــك تــاريــخ ولا دارس أزمـــــان[1]

(١) دارس أزمان : الأزمان الماضية والبعيدة العهد.

عسكري المرور

مـــتـــحكمٌ في الراكـــبين	ومـــــالـه أبداً ركـــــوبة
لـهـم المثـــــوبـة من بـنـا	نك حين تأمـــر والعـــقــوبة
مـــر مـــا بدالك في الطريق	ورُضْ على مـهل شـعـوبه[1]
أنـا ثـائـر أبـداً ومـــــــا	في ثورتي أبداً صــعـــوبة
أنـا راكب رجـلي فـــــــلا	أمــــرٌ عليّ ولا ضـــريبـــة
وكـــــذاك راكب رأســــــه	في هذه الدنـيـا العـجـيـبـة

(١) رُضْ : درِّب ووُجه، من الترويض والتدريب.

كوكب الشرق(١)

هلَّل الشـــرق بالدعـــاءْ كوكب الشرق في السماء
عـــاد في حلة الضـــيا ء، وفي هالة البـــهـــاء
لـم يَغب هـاجـــــراً ولـ ـكنْ كما غـربَّت ذُكـاء(٢)
لا تخـــافــوا على مطا لعـــه سطوة المســـاء
واهـــبُ الـــنـور لا يـــدا ريه عـن نوره غـــشـــاء
كـــوكب الشــرف في أمـا ن من الليل لا مــــراء

* * *

يا عــروس الســمــاع لبـا ك من يســمع الدعـــاء
وشـــفى أنفـــســـاً لعـــينيـ ـك تسـتـــرخص الفـــداء
انـظري في وجـــــوههم تعــرفي نضـــرة الوفـــاء
كـــلـهــم ود لــو يُـغـنـي من البــشــر والصـــفـــاء
لـو بقـــدر الســـرور نشـ ـدو غلبناك بالغناء!

* * *

(١) قيلت في استقبال سيدة الغناء العربي أم كلثوم عند عودتها من رحلة علاجية في الخارج.
(٢) ذكاء : الشمس.

أمُّ كلثـــوم يا بشـــيـــر ... أً مـن اللـه بـالـرجـــاء

أنت من وحـــيـــه، ولـلـ ... ـه في الفن أنبـــيـــاء

ذلك الصـوت ـ صـوتـك الـ ... ـعـذب ـ من عـرشـه نداء

فـــيـــه سـرٌ من جنة الـ ... ـخلد لكنـه ضـيـــاء

فـيـه مـا يرفع الحـجـا ... ب ومـا يـكشف الغطاء

فـــيـــه أنس لمن يشـنـا ... ء وسلوى لمن يشـــاء

فـيـه للمـــرتجي سـلا ... م وللمـشـتـكي عـزاء

فـيـه حـرز من الهـمـو ... م وعـونٌ على القـضـاء

أي نـفـس إذا تـر ... نمت لا تهـزم الشـقـاء؟

إنـه قـــوةٌ إذا ... عـز من قـوة نجـاء

إنـه مـن غـنـى إذا ... حُسب الصـوت من غِناء

إنـه ثـروة لمصـــر ... ومـا أجـزل الثـراء

مـهـرجـانٌ لعـيـدها ... حـيـثـمـا رفـرف اللواء

وعلى الجـرح إن شكت ... بلسم ناجع الشـفـاء

* * *

أيـهــــا الـكـوكـب الـذي أسـعــد الأرض بالـلـقـــاء

رددي الطرف في الفـضـا ءِ، ومـا أرحب الـفـضـاء

واســـأليــــه ســـؤال من يلحن الطيـــر في الـهــواء

هل سـرى فـيــه مـثل صـو تك في الحـسـن والنقـاء

في قـــديم الـزمــــان أعـ ـنى وفـي حــاضـر ســواءِ

لا أحـــاشي مـن الـرجـــا ل قـبـيـلا ولا النسـاء[1]

لا تجـــيـــبي. أنا المجـيـ ـب، ولم أغلُ في الثناء[2]

أنتِ كـالـشـمـس لا تُعـدّ د في هذه الســـمــــاء

(١) لا أحاشي : لا أستثني.

(٢) لم أغْلُ : لم أبالغ.

الكروان

هل يسمعون سوى صدى الكروان صوتاً يرفرف في الهزيع الثاني
من كل سار في الظلام كأنهُ بعض الظلام تَضله العينان
يدعو، إذا ما الليل أطبقَ فوقهُ موجَ الدياجر، دعوةَ الغرقان
ويشبّ في الجو السحيق كأنه يبغي النجاة إلى حمى كيوان(١)
عاف التجمل فهو في جلبابه فانٍ يرتل كالأبيل الفاني(٢)
ما ضرَّ من غنّى بمثل غِنائه أنْ ليس يبطش بطشة العقبان
إن المزايا في الحياة كثيرة الخوف فيها والسُّطاسيان(٣)

***

يا محييَ الليل البهيم تهجّداً والطيرُ آوية إلى الاوكان
يحدو الكواكب وهو أخفى موضعاً من نابغ في غمرة النسيان

قل يا شبيهَ النابغين إذا دعوا والجهل يضرب حولهم بجران(٤)

---

(١) كيوان : نجم في السماء.
(٢) عاف : كره وعزف عن. الأبيل : الراهب المتنسك.
(٣) السّطا : البطش والسطوة والجبروت.
(٤) الجران: باطن العنق من البعير، والمراد استقر وثبت.

كم صيحة لك في الظلام كأنها ... دقات صدرٍ للدجنّة حان

هن اللغات ولا لغاتِ سوى التى ... رفعت بهنَّ عقيرة الوجدان

إن لم تقيدها الحروف فإنها ... كالوحي ناطقة بكل لسان

أغنى الكلام عن المقاطع واللُّغى ... بثُّ الحزين وفرحة الجذلان[1]

* * *

إني لأسمع منك إذ ناديتني ... معنىً يقصر عنه كل بيان

لا عيب أنك في لسانك أعجم ... إذ كنتَ ناطقَ مهجة وجنان

والجاهلون بسر ما رجَّعته ... من نغمة مأثورة ومعان

لا يسمعون بسر بين جنوبهم ... صماً وإن كانوا ذوي آذان

* * *

يا سالياً يشكو ويصدح وحده ... علِّم سميرك راحة السلوان

جهلٌ لعمرك أن يطوِّع صاحباً ... من جاهرته النفس بالعصيان

املك هواك فإن أطقت فَلَمْ فتى ... خان الوداد ـ فلستَ بالخوّان

(١) اللغى : اللغات. بث الحزين : شكواه وبوحه.

الكروان المجدد

زعموك غير مجدِّد الالحان ظلموك، بل جهلوك، يا كرواني
قد غيرتك ـ وما تغيِّر شاعراً عشرون عاماً ـ في طراز بيان
أسمعتني بالأمس ما لا عهد لي بسماعه في غابر الألحان
ورويت لي بالأمس ما لم تروه من نغمة وفصاحة ومعان

* * *

شكواي منك، وإن شكرتك، أنه سرٌ تصرُّ به على الكتمان
شكري إليك؛ وإن شكوتك، أنه سرٌ تؤخره لخير أوان
كنز يصان فهاتِ من حباته ذخر القلوب وحلية الآذان

* * *

أنا لا أراك! وطالما طرق النُّهى وحيٌ، ولم تظفر به عينان
أنا في جناحك حيث غاب مع الدجى
وإن استقر على الثرى جثماني
أنا في لسانك حيث أطلقه الهوى مرحا، وإن غلب السرور لساني
أنا في ضميرك حيث باح فما أرى سراً يغيّب به ضمير زماني

أنا منك في القلب الصغير، مساجلٌ ... خفق الرَّبيع بذلك الخفقان
أنا منك في العين التي تهب الكرى ... وتضن بالصَّحَوات والأشجان
طِرْ في الظلام بمهجة لو صافحت ... حجر الوهاد لهمَّ بالطيران
تغنيك عن ريش الجناح وعزمه ... فرحات منطلق الهوى نشوان
فرحات دنيا لا يكدر صفوها ... بالمين غير سرائر الإنسان

* * *

علمتني بالأمس سرك كله : ... سرُّ السعادة في الوجود الفاني
سرُّ السعادة نفرة ومحبةٌ ... فيكم تؤلف نافر الأوزان
الكون أنتم في صميم نظامه ... وكأنكم فيه الطريد الجاني
أنتم سواءٌ كالصديق وبينكم ... بعدٌ كما يتباعد الخصمان
لا يحمل الطيار وزر العاني ... حمل ابن آدم عثرة الإخوان
لا عالمٌ منكم ولا متعلمٌ ... كلا ! ولا متقدم أو وان
متشابهين على الحياة فكلكم ... ساري ظلامٍ، هاتف بأغان
متفرقين على المقام ودأبكم ... عند الرحيل تجمّع القطان
وكأنما نُسختْ لكلٍ نسخة ... من هذه الأجواء والأوطان
فهو الشريك على نصيب واحدٍ ... وهو الوحيد فما له من ثان

ذخر الطبيعة منه تُعطَوْن الحجى   لا من سباق بينكم ورهان

* * *

أنتم بني الطير المسّبح في الدجى   فيكم كهانة صالح الكهان

بعتم كرى الغافي وطيبَ رقاده   وبه اشتريتم يقظة اليقظان

قل ما اشتهيت القول يا كرواني   في لهو ثرثار وحلم رزان

سأعيش مثلك لِي وللدنيا معاً   وأقول مثلك كيف يزدوجان

وأظلُّ تزدحم الحياة بمهجتي   أبداً ويجتنب الزحام مكاني

في عزلة أنا والحبيب تؤمنا   دنيا الجمال، ونحن منفردان

الليل يا كروان

الليلَ يا كروان	بشراكَ طاب الأوان
بشراك؟ بل أنت بشرى	تهفو لها الآذان
سهران في الليل شاد	فكلنا سهران
وان تكن أنت حلماً	فكلنا وسنان
وسنان لم يسهُ قلب	له ولا أجفان
النوم في الصيف وزرٌ	وفي الهوى كفران

✲ ✲ ✲

الليلَ يا كروان	ما أنت والنسيان
حاشاك ما أنت ساهٍ	عنه، ولا كسلان
الليل ذكرى وأنت المـ	ـذّكر اليقظان
لكنما أنت روحٌ	وهل لروح مكان؟
بينا يقال قريبٌ	كأنه الوجدان
إذا به في صداه	كأنه كيوان[1]

✲ ✲ ✲

(١) كيوان : نجم فى السماء.

إن كان في السمع طيفٌ   فـــأنت يا كـــروان
صـــوت ولا جـــثـــمـــان   لحن ولا عـــيـــدان
كـــأنـــه هـاتـف فـي   فـــضـــائه حـــيـــران
أو رجع صـــوت قـــديم   يعـــيـــده الحـــســـبـــان

* * *

الـلـيـل يـا كـــــروان   فـــأين منك البـــيـــان؟
ليـل الطبـيـعـة صـمتٌ   وأنت فـــيـــه لســـان
وظلمـــةُ الليل ســـرٌ   فـــاقـــرأه يا ترجـــمـــان
مـا في الظلام ظلام الحـ   ـيـــاة لو يُســـتـــبـــان
إلاّ صـيـاح اشـتـيـاق   تـروضـــــه ألحـــــان
نصف الحـيـاة اضطرابٌ   ونصـــفـــهـــا أوزان

* * *

الليل والصـيف والحب   كـــلـــهـــن أوان
وأنـت مـــنـــهـــن طـــراً   على وعـــودٍ تصـــان
خـذ صـمـتـهن وصـغـه   شـــدواً له ســـريان

غص في قرار الدياجي ... فللدجى شطآن
واستقبل النجم علْوا ... إن النجوم حسان
وخذ من الصيف ناراً ... لا يعتليها دخان
وارقص مع الحب دوراً ... دارت له الأكوان
في الأرض بيتك ثاوٍ ... وفي السماء افتنان
وبين ذلك ملهى ... للحب، بل ميدان
واللهو في الحب فاعلم ... كالحرب يا كروان
عليك من ذا ومن ذا ... يا ابن الليالي أمان
شادي الغرام له من ... سكر الغرام ضمان
والصبح أول مَرسى ... يرتاده الرُّكبان
ألا تَزاورَ عنه ... في الرحلة الرّيان؟![1]
وما ارتضاه ولكنّـ ... ـما الزمان زمان
فاملأ من الليل نفساً ... عزيزةً لا تُهان
لا هتفةٌ فيه تبقى ... إلى غدٍ أو أذان
الليل يا كروان! ... الصبح يا كروان!

(١) تزاور : أعرض وابتعد.

غن يا كروان

قم غن يا كـــــروان غنٍّ وتمنَّ في الدنيـــــا ومنِّي
وأمن دجـــاك وإن عــــرفـ ـتك في الحـيــاة قليل أمن
فـيم المخـافـة يا سـمـيـ ـر الليـل أو فـيـم التـجني؟
لا أنت جــزل في الصــحـا ف ولست في قـــفص تُغنِّي
كـــلاًّ ولا في خـــافــقــيـ ـك الحـائلين بريقُ حـــسن
والصــــقـــر نام وأنت وحـ ـدك تمدح الدنيـــــا وتثني
لك كل مـــــا دون الكوا كب من سمـاك الليل مـبني
فـــأمن زمـــانك أو فـــخف فـــالطبع دون الرأي يغني
إنـي إخـــــالك لو أمنـ ـت لما هتـــفت لنا بلحن

مـــــا أحـــب الكـروان!

مـــــا أحب الكـروان !

هل ســـمــعت الكروان؟

***

موعدي يا صاحبي يوم افترقنا حيث كانت جيرةٌ أو حيث كنا

هاتف يهـــتف بالأســـمـــاع وهناً

هو ذاك الـكروان، هـو هذا الـكروان!

* * *

الـكراويـن كـــثـــيـــر أو قـليـلْ   عندنا أو عـندكم بين النخـــيـلْ

ثَمّ صـــوتُ عـــابرُ كلَّ ســبـيـلْ

هو صوت الكروان، في سبيل الكروان

* * *

لي صدى منه فلا تنس صداك   هو شـــاديك بلا ريبٍ هناك

فـــإذا مـــا عـــسـعس الليل دعـــاك

ذاك داعي الكروان، هل أجبت الكروان؟

* * *

مـــفـــردٌ لكنه يؤْنسنا   ســـاهرٌ لكنه ينعـــسنا

صـدحت في نفـســه أنفسنا   فتسامعنا سواء، وسمعنا الكروان!

* * *

واحـــدٌ أو مـــائة ترجـــعـــه   عـنـدنا أو عندكم مطلعـــه

* * *

ذاك شيءٌ واحـــد نســـمـــعـــه

في أوان وبيـــان، هو صـــوت الكروان

واحـدٌ بين عـصـور وعـصـور نحن نستحيي به تلك الدهور

لم يفـتنا غـابر الدنيـا الغـرور

في أوان الكروان، مـا أحب الكروان!

آه من التراب

أين في المحفل «ميّ» يا صحابْ؟[1]
عودتنا ها هنا فصل الخطابْ
عرشُها المنبر مرفوع الجناب
مستجيبٌ حين يُدْعى مستجاب
أين في المحفل «ميّ» يا صحاب؟

* * *

سائلوا النخبة من رهط النديّ
أين ميّ؟ هل علمتم أين ميّ؟
الحديث الحلو واللحن الشجيّ
والجبين الحرّ والوجه السنيّ
أين ولّى كوكباهُ؟ أين غاب؟

* * *

---

(١) ميّ زيادة : اسم أدبى مستعار للأديبة الكاتبة ماري بنت إلياس اللبنانية الأصل، عاشت بين عامى ١٨٨٦ ـ ١٩٤١. انتقلت مع والديها إلى مصر بعد أن تلقت تعليمها الأول في فلسطين ولبنان، وأخذت تكتب فى جريدة المحروسة ومجلة الزهور وكان لها منتدى أدبى شهير كان يقصده صفوة الأدباء فى عصرها ويعقد بدارها كل ثلاثاء، كما كانت تربطها بالشاعر وبغيره من نجوم الأدب والفكر فى زمانه علاقة وثيقة. لم تتزوج، وفي أخريات حياتها غلبها الحزن والاكتئاب بعد وفاة والديها.
من أشهر مؤلفاتها: باحثة البادية، مد وجزر، سوانح فتاة، الصحائف، كلمات وإشارات، ظلمات وأشعة، ابتسامات ودموع. ولها شعر كتبته بالفرنسية. وهذه القصيدة تصور فجيعة العقاد برحيل ميّ.

أسف الفن على تلك الفنون
حصدتها، وهيْ خضراءُ، السنون
كلٌّ ما ضمته منهن المنون(١)
غصصٌ ما هان منها لا يهون
وجراحات، ويأس، وعذاب

***

شَيمٌ غُرٌّ رضيّات عِذابْ(٢)
وحجى ينفذ بالرأي الصواب(٣)
وذكاءُ ألمعيّ كالشهاب
وجمال قدسي لا يُعاب
كل هذا في التراب. آه من هذا التراب!

***

كل هذا خالدٌ في صَفَحات
عطراتٍ في رباها مثمرات
إن ذوت في الروض أوراق النبات
رفرفت أوراقها مزدهرات
وقطفنا من جناها المستطاب(٤)

***

(١) المنون : الموت
(٢) الشيم : جمع شيمة: الخلق الكريم. غُرّ: جمع غراء، المشرقة والمتألقة، عذاب : عذبة.
(٣) الحجى : العقل.
(٤) الجنى : الثمر.

مـن جنـــــاها كـلّ حـــسن نشـــتهـيــه
مـــتـــعـــة الألـبـــاب والأرواح فـــيـــه
ســــائغ مُـــيَّـــز مِنْ كل شــــبـــيـــه
لـم يــــــزل يحــــسـبــه مَنْ يجـتنيـه
مُـــفْـــرَدَ المنبت مـــعـــزول الســـحـــاب

***

الأقـــاليم التي تُنْمـــيـــه شَـــتَّى[1]
كـل نـبـت يـانـع يـنـجـب نـبـــــتـــا
مـن لـغـــات طوَّفت فـي الأرض حـــتـى[2]
لم تدْع في الشــرق أو في الغــرب سَـمْـتـا
وحـــواها كلهـــا اللبُّ العـــجـــاب[3]

***

يـا لـذاك الـلـب مـن ثـروة خِـــــصْـبِ
نـيِّـــــرٍ يـقـــــبس مـن حـس وقَلْـبِ
بـين مــــرعىً من ذوي الألـبــــاب رحبِ
وغِـنىً فـــيـــه، وجُـــودٍ مـــســـتَـــحِبِ
كـلمـــا جـــاد ازدهى حُـــسـناً وطـاب

***

(١) تنميه : تغذيه وتقويه.
(٢) يشير العقاد إلى إجادة «ميّ» لعدد من اللغات الأجنبية.
(٣) اللب العجاب : العقل المثير للإعجاب والدهشة.

طَلْعَـــهُ الناضــر من شــعـــر ونثــرِ[1]
كـــرحـــيق النحل في مطلع فـــجـــرِ
قـــابل النـورَ على شـــاطيء نهـــرِ
فله في العين ســـحـــر أيّ ســـحـــرِ
وصـــــدى في كل نفس وجـــــواب

***

حيِّ «مـــيـــاً» إن مَنْ شـــيع مـــيـــا
منصـــفـــاً حـــيّـــا اللســـان العـــربيـــا
وجـــزى حـــواء حـــقـــاً ســـرمـــديا
وجـــزى مـــيًّـــا جـــزاء أريحـــيـــا
للذي أســـدت إلى أم الكتـــاب[2]

***

للذي أسـدت إلى الفـصـحى احـتـسـابا
والذي صـــاغـــتـــه طبـــعـــاً واكـــتـــسـابا
والذي خـــالتـــه في الدنيـــا ســـرابا
والذي لاقت مـــصـــاباً فـــمـــصـــابا
من خطوب قـــاســـيـــات وصـــعـــاب

***

(١) الطلع : الثمر ويقال طلع النخل : ثمره.
(٢) أم الكتاب : هي اللغة العربية.

أتُراهـا بعـد فقـد الأبويْن
سلمت في الدهر من شجوٍ وبَيْن[1]
وأسىً يظلمهـا ظلم الحسين
ينطوي في الصمت عن سمع وعيْن
ويذيب القلب كالشمع المذاب

* * *

أتراهـا بعـد صمت وإبـاءْ
سلمت من حسدٍ أو من غباءْ
ووداد كلّ ما فيـه رياءْ
وعداءٍ كل ما فيـه افتراءْ
وسكونٍ كل ما فيـه اضطراب

* * *

رحمة الله على «ميٍّ» خصالا
رحمة الله على «ميٍّ» فعالا
رحمة الله على «ميٍّ» جمالا
رحمة الله على «ميٍّ» سجالا[2]
كلما سُجل في الطرس كتاب[3]

* * *

(١) الشجو : الحزن الشديد والأسى المهلك. البين : الغربة والاغتراب والبعاد.
(٢) السجال : الدمع المنهمر والدلو العظيمة والكتاب الذى دون فيه ما يراد حفظه.
(٣) الطرس : الصحيفة وورق الكتابة.

تلكُم الطلعة ما زلت أراها
غضةً تنشر ألوان حلاها
بين آراء أضاءَت في سناها
وفروع تتهاذى في دجاها!
ثم شاب الفرع والأصل، وغاب

* * *

غاب والزهرة تؤتي الثمراتْ
ثمراتٍ من تجاريب الحياةْ
خير ما يُؤْتي حصاد السنواتْ
بعثرتهن الرياح العاصفاتْ
ورمتهن تراباً في خراب

* * *

ردُّ ما عندك يا هذا التراب
كلّ لبٍ عبقري أو شباب
في طواياك اغتصاب وانتهاب
خُلقا للشمس أو شُمّ القباب[1]
خُلِقا لا لا نزواء واحتجاب

* * *

(١) شم القباب : القمم العالية. شمّ : جمع شماء. والقباب : جمع القبة.

وَيْكَ ! مـــــا أنت بـرادٌّ مـــــا لـديـك

أضـــيعُ الآمـــال مـــا ضـــاع عـلـيك

مـــجـــدُ «ميٍّ» غـــيـــر مـــوكـــول إليك[1]

مـــجـــد «ميٍّ» خـــالص من قـــبـــضَـــتـَـيك

ولـهـــــا من فـــــضـلهـــــا ألف ثواب!

* * *

(١) موكول إليك : مسئوليته تقع عليك.

بيچو[1]

حزناً على بيچو تفيض الدموع
حزناً على بيچو تثور الضلوع
حزناً عليه جهدَ ما أستطيع
وإن حزناً بعد ذاك الوَلوع
والله - يا بيچو - لحزن وجيع

* * *

حزناً عليه كلما لاح لي
بالليل في ناحية المنزل
مسامري حيناً ومستقبلي
وسابقي حيناً إلى مدخلي
كأنه يعلم وقت الرجوع

* * *

وكلما داريت إحدى التحف
أخشى عليها من يديه التلف
ثم تنبهت وبي من أسف

(١) بيچو : هو كلب العقاد.

ألاّ يصـيب اليـوم منهـا الهـدف ....
ذلك خـيــر من فــؤاد صــديع

✻✻✻

حــزني عليـه كلمـا عــزني
صـــدق ذوي الألبــاب والألسن
وكلمــا فــوجـئتُ في مــأمني
وكلمــا اطمــأننتُ في مــسكني
مـسـتـغنيـاً، أو غـانيـاً بالقنوع[1]

✻✻✻

وكلمــا ناديتــه ناســيــاً :
بيــچــو ! ولم أبصــر به آتيــا
مـداعـبـاً مـبـتـهـجـاً صـاغـيـا ...
قــد أصــبح البـيت إذن خــاويا
لا من صـدى فـيـه ولا من سـمـيع

✻✻✻

نسـيت؟ لا. بل ليـتني قـد نسـيت
حــســبــتني ذاكِــرَةُ مــا حـيـيت

---

(١) غانيا : مستغنيا.

لو جاءني نسيانه ما رضيت
بيچو مُعَزيٌّ إذ ما أسِيتْ[1]
بيچو مُناجِيٌّ الأمين الوديع

✲ ✲ ✲

بيچو الذي أسمع قبل الصباح
بيچو الذي أرقب عند الرواح
بيچو الذي يزعجني بالصياح
لو نبحةٌ منه، وأين النباح؟
ضيعت فيها اليوم ما لا يَضيع

✲ ✲ ✲

خطوته.. يا بَرْحَها من ألم
يخدش بابي وهو ذاوي القدم
مستنجداً بي، ويح ذاك البَكَمْ!
بنظرة أنطقَ من كل فم
يا طول ما ينظر،! هذا فظيع!

✲ ✲ ✲

نَمْ لا أرى النوم لعيني يطيب

(١) أسيتُ : شعرت بالأسى.

أنتم خـبـيـرون بنهش القلوب
يا آل قِطْمِيرَ هواكم عـجـيب[1]
غـاب سنا عـينيك عند الغـروب
وتنقـضي الدنيـا... ولا من طلوع

* * *

نم واترك الأفـواج يوم الأحـد
والبـحـر طاغٍ والمدى لا يُحَـدّ
عـيناي في ذاك وهذا الجسـد
بوحـشـة القلب الحزين انفـرد
والليل، والنجم، وشـعب خليع!

* * *

أبكيك، أبكيك وقلَّ الجـزاء
يا واهب الود بمحض السـخـاء
يكذب من قـال طعـامٌ ومـاء
لو صحّ هذا ما مَحَضْتَ الوفاء[2]
لغـائبٍ عنك، وطفل رضـيع!

---

(١) «قطمير» هو اسم كلب أهل الكهف.
(٢) محضت الوفاء: أخلصت الوفاء بدون مقابل.

فهرس المختـــــارات

القصيدة	الصفحة

دواويــــن العـقــــاد

سنة الطبعة الأولى	الـديـــوان
١٩١٦	١ ـ يقظة الصباح
١٩١٧	٢ ـ وهج الظهيرة
١٩٢١	٣ ـ أشباح الأصيل
	٤ ـ ديوان العقاد
١٩٢٨	(يضم الدواوين الثلاثة السابقة + ديوان أشجان الليل)
١٩٣٣	٥ ـ وحي الأربعين
١٩٣٣	٦ ـ هدية الكروان
١٩٣٧	٧ ـ عابر سبيل
١٩٤٢	٨ ـ أعاصير مغرب
١٩٥٠	٩ ـ بعد الأعاصير
	١٠ ـ ديوان من دواوين
١٩٥٨	(يضم مقتطفات من الدواوين التسعة السابقة بالإضافة إلى قصائد جديدة)
١٩٦٧	١١ ـ ما بعد البعد
	(الديوان الوحيد الذى صدر بعد رحيل الشاعر، يضم أيضا مقالات كتبت في رثاء العقاد؛ جمعه وأعده للنشر عامر العقاد)

دواوين العقاد

- يقظة الصباح
- وهج الظهيرة
- أشباح الأصيل
- ديوان العقاد
- وحي الأربعين
- هدية الكروان
- عابر سبيل
- أعاصير مغرب
- بعد الأعاصير
- ديوان من دواوين
- ما بعد البعد

المجلس الأعلى للثقافة